بمناسبة الذكرى التاسعة عشرة لوفاة الإمام الخميني

العزّة في خطاب الإحيائيين*

وصية الإمام الخميني نموذجًا

ملخّص

العزّة من أهم العناصر الثقافية للإنسان والجماعة الإنسانية. حين تكون فاعلة فإن الحركة الثقافية تنشط، وتؤدي إلى إنتاج حضاري، وحين تموت يسود الذلّ، وتتوقف الحركة الحضارية، ولذلك اهتمّ كل «الإحيائيين» بهذا العنصر، ومنهم الإمام الخميني، فقد كان خطابه في حياته يركز على عزّة الإنسان والمجتمع، وفي وصيته الهامّة ركز أيضا على ذلك، بحيث يمكن القول: إن كل ما جاء في هذه الوصيّة يتجه نحو إيقاظ مشاعر العزّة لدى المخاطَبين. سواء اتجه في حديثه إلى تناول المسائل السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية أو العسكرية أو القضائية أو سائر شؤون الحكومة الإسلامية.

*ـــ نصوص الوصيّة منقولة من ترجمة صاحب هذا الاستعراض التي طبعت في الأيام الأولى لرحيل الإمام المؤسس، بمطابع وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ، مع بعض الهوامش.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مقدمة

العزّة أهم مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية، ولابدّ لكل حكم من الأحكام الإسلامية أن ينسجم مع هذا المقصد، وألا فلا يجوز العمل به، بعبارة أخرى عزّة الإنسان وكرامته أصل من أصول الدين بل أصل أصول الدين، وكل فرع يتعارض مع هذه العزّة ويؤدي إلى إذلال الإنسان يسقط وينتفي العمل به.

كل ما جاءت به الأديان السماوية ونادى به المصلحون الإلهيون على مرّ التاريخ على صعيد العقيدة والعبادة والسلوك والعلاقات إنما يستهدف تحقيق عزّة الإنسان وتكريمه على هذه الأرض. وإذا أمعنّا النظر في الخطاب الإحيائي الإسلامي على مرّ التاريخ وجدناه يركز على العزّة باعتبارها العنصر الهام في إحياء نفخة روح ربّ العالمين.

الإمام الخميني في سلوكه الشخصي ومسيرته العلمية والتربوية والجهادية، وفي كل أقواله ومواقفه أراد أن يحيي روح العزة والكرامة في نفوس مخاطبيه. وأن يزيل كل العوامل التي من شأنها أن تذلّ الإنسان وتصادر كرامته.

هذه مقدمات يحتاج كل منها إلى دراسة مستقلة، أكتفي بالإشارة إليها فقط لأدخل في صلب الموضوع.

العزة وأهل البيت

في مقدمة الوصية نرى تأكيدًا خاصًا على أهل البيت(ع) وعلى التزام بنهجهم وعلى ما نزل بهم من ظلم في التاريخ، ولهذا التأكيد مدلوله الخاص. إنه يعني الانتماء إلى مدرسة العزّة في التاريخ. أهل بيت رسول الله كانوا دون شك على مرّ التاريخ في طليعة مقارعة الظلم والظالمين، والدفاع عن عزة المسلمين. وكانت الدماء التي قدموها على هذا الطريق مبعث حركة تاريخية مستمرة صانت الإسلام من الانحراف والمسلمين من الإذلال.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإمام الراحل(رض) بتأكيده على هذه المدرسة إنما يريد أن يوثّق الارتباط بمصدر هام للعزة، وهو المصدر التاريخي، ويريد في الوقت نفسه أن يدين كل من أذلّ المسلمين وسامهم سوء العذاب باسم الدين والإسلام.

الارتباط التاريخي بالثورات والثوار وبحركة الدفاع عن العزة والكرامة يشكل دون شك مصدرًا هامًا من مصادر إلهام الأجيال وتحديد الوجهة الحركية في مسيرتها.

بعد أن يؤكد الإمام الراحل على حديث الثقلين باعتباره حديثًا متواترًا بين المسلمين، وباعتباره الضمان التشريعي لصيانة المسيرة من الانحراف، يذكر بعد ذلك ما حلّ بالمسلمين نتيجة إقصاء أهل البيت، ويرفع صوته بالفخر بسبب انتمائه هو والشعب الإيراني إلى مدرسة العزة والكرامة والتحرر والانعتاق، كأنه يريد بذلك أن يلقن مخاطبه الاعتزاز بهذا الانتماء التاريخي والرسالي، يقول:

«نحن والشعب العزيز الملتزم التزامًا لا حدّ له بالقرآن والإسلام نفخر بأننا أتباع مذهب يستهدف أن يخلّص حقائق القرآن الداعية بأجمعها إلى الوحدة بين المسلمين بل البشرية، من المقابر ليقدمه باعتباره أعظم وصفة إنقاذ للبشرية من جميع ما يكبل يدها ورجلها وقلبها وعقلها من قيود، ويدفعها نحو الفناء والإبادة والرقّية والخضوع للطواغيت.

نحن نفخر أننا أتباع مذهب مؤسسه رسول الله بأمر من الله تعالى، وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، هذا العبد المتحرر من جميع القيود والمأمور بتحرير البشرية من الاستعباد وجميع الأغلال.

نحن نفخر أن كتاب نهج البلاغة الذي هو بعد القرآن أعظم نهج للحياة المادية والمعنوية وأسمى كتاب تحرري للبشرية، وتعاليمه المعنوية والإدارية، أسمى طريق للنجاة، هو من إمامنا المعصوم» (الوصية- ص ١٠).

ويواصل الإمام عرض مفاخر هذه المدرسة في التربية والتعليم مركّزًا على ما قدمته من تضحيات في سبيل العدل ومقارعة الظالمين، ويربط هذه التضحيات بشكل رائع بما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قدمه الشعب الإيراني في سبيل دينه، مؤكداً بذلك أن حركة هذا الشعب هي استمرار لمسيرة الجهاد الطويل الذي خاضته مدرسة أهل البيت، يقول:

«نحن نفخر أن يكون الأئمة المعصومون صلوات الله وسلامه عليهم قد عانوا السجن والتشريد على طريق تَعالي الدين الإسلامي وعلى طريق تطبيق القرآن الكريم، وإقامة حكومة العدل الإلهي باعتبارها واحداً من أبعاد (هذا التطبيق)، واستشهدوا في النهاية على طريق الإطاحة بالحكومات الجائرة والطاغوتية في زمانهم. ونحن نفخر اليوم بأننا نريد تطبيق أهداف القرآن والسنة، وأن فئات الشعب المختلفة يبذلون بولع شديد على هذا الطريق المصيري الكبير، طريق الله، النفس والمال والأعزة» (الوصية ـ ص ١١).

ويعود الإمام في نهاية مقدمة وصيته ليطلب من كل المسلمين أن يقتدوا بهذه المدرسة بما فيها من فكر عميق وروح تضحية وفداء، يقول:

«أطلب من الشعوب المسلمة بكل جدّ وبكل تواضع أن يقتدوا بالأئمة الأطهار وبما قدّمه هداة البشرية العظام هؤلاء من فكر سياسي واجتماعي واقتصادي وعسكري، وبصورة لائقة وعن رغبة عميقة وببذل النفس وتقديم الأعزة» (الوصية ـ ص ١٣).

ويعود مرة أخرى للتأكيد على إحياء الذكريات التاريخية التي توثّق صلة الأمة بالجهاد والحركة على طريق العزة والكرامة، ومن ذلك إحياء ذكرى استشهاد الحسين بن علي(ع)، وملحمته الخالدة، مذكراً:

«إن تعاليم أئمة أهل البيت عليهم السلام لإحياء هذه الملحمة التاريخية الإسلامية.. إنما هي صرخة بطولية شعبية بوجه الحكام الظلمة على مرّ التاريخ والى الأبد» (الوصية، ص ١٣-١٤).

العزّة والمرأة

لا يمكن أن تتحقق العزّة في أمة تكون المرأة فيها حقيرة ذليلة مهانة، ومن أكبر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عوامل الإذلال في مجتمعاتنا الإسلامية على مرّ التاريخ كان الوضع المزري الذي عاشته المرأة المسلمة. فالمرأة الأم والأخت والزوجة هي التي تبعث في نفوس الجيل روح العزّة والكرامة، وهي نفسها ـ إن كانت ذليلة مهانة ـ تغرس روح الذل والهوان في نفوس الأجيال.

والظاهرة الغريبة في الثورة الإسلامية حركة المرأة على طريق العزة، وعلى طريق دفع المسيرة نحو التضحية والفداء بحيث تقدمت كما يقول الإمام أحيانًا على الرجل في هذا المضمار. والمهم في الأمر أن الفئة المتحركة من النساء على طريق الثورة لم تكن تلك الفئة التي ادّعت العصرنة والتحرر، بل هي تلك الفئة التي فُرض عليها الحرمان من المشاركة الاجتماعية نتيجة دسائس الأعداء وجهل الأصدقاء كما يقول الإمام.

يؤكد الإمام في مقدمة وصيته على هذا الدور الذي نهضت به المرأة ويشير بوضوح إلى أن انزواء المرأة المسلمة كان نتيجة عقلية خرافية بثها الأعداء، وأشاعها الجهلة وبعض رجال الدين المتحجرين. يقول الإمام:

«نحن نفخر بأن النساء بمختلف الأعمار متواجدات زرافات ووحدانًا في الساحات الثقافية والاقتصادية والعسكرية ويبذلن الجهد جنبًا إلى جنب مع الرجال، أو متقدمات عليهم، على طريق اعتلاء الإسلام وأهداف القرآن الكريم. ومن منهنّ قادرات على الحرب يشاركن في تلقي التدريب العسكري الذي هو من الواجبات الهامة للدفاع عن الإسلام والبلد الإسلامي، وأنهنّ حرّرن أنفسهن بشجاعة والتزام من الحرمان الذي فُرض عليهنّ بل على الإسلام والمسلمين نتيجة دسائس الأعداء وجهل الأصدقاء بأحكام الإسلام والقرآن، وتخلّصن من قيود الخرافات التي خلقها الأعداء وجهل الأصدقاء بأحكام الإسلام والقرآن، وتخلّصن من قيود الخرافات التي خلقها الأعداء لمصالحهم على يد الجهلة وبعض رجال الدين غير الواعين على مصالح المسلمين. ومن منهنّ غير قادرة على الحرب فهي منهمكة في الخدمة خلف الجبهة بشكل رائع يهزّ قلوب الجماهير شوقًا وإعجابًا ويثير الغضب في قلوب الأعداء والجهلة الأسوأ من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأعداء. ونحن رأينا كرارًا أن نساءاً عظامًا يرفعن أصواتهم كزينب عليها سلام الله (ويقلن) أنهنّ قدمن أبناءهن وكل عزيز لديهن على طريق الله تعالى والإسلام العزيز، ويفخرن بذلك، ويعلمن أن ما كسبنه أسمى من جنّات النعيم، فما بالك بمتاع دنيوي حقير» (الوصية، ص ١١).

العزة والشريعة

الاستقلال التشريعي لكل أمة يصون شخصية هذه الأمة ويبعدها عن الانحلال والذوبان. وكانت الشريعة الإسلامية سمة مميزة للأمة على مرّ التاريخ، توحّد أقطارها، وتبلور شخصيتها، وتصون عزّتها، وتخلق الانسجام بين عقيدتها وممارساتها العملية.

ومع ظهور أول بوادر ضعف شخصية الأمة ظهرت أيضًا بوادر التشكيك في الشريعة وجدواها، والدعوة إلى الاقتباس من التشريعات المستوردة، وهكذا أُقصيت الشريعة الإسلامية من مجالات الحياة المختلفة، بعد أن انهارت شخصية الأمة في عصر الاستعمار.

الشريعة الإسلامية في نظر الإمام ليست فقط المنهج الأفضل للحياة، بل هي أيضًا الرمز لصيانة عزّة المسلمين وكرامتهم وشخصيتهم. يشير الإمام إلى أن إبعاد الإسلام عن ساحة الحياة يستهدف خلق مجتمع يائس مهزوم، وعملية الإبعاد هذه تتخذ سبيلين: الأول: باسم العولمة أو على حد تعبير الإمام بالإدعاء بأنه:

«لا يمكن في العصر الراهن عزل بلد من البلدان عن الحضارة العالمية ومظاهرها» (الوصية، ص ١٨).

والثاني: سبيل التظاهر بالقدسية، وهو القول:

«بأن الإسلام والأديان الإلهية الأخرى تهتمّ بالمعنويات، وتهذيب النفوس، والتحذير من المناصب الدنيوية، والدعوة إلى ترك الدنيا، والاشتغال بالعبادات والأذكار والأدعية التي تقرب الإنسان من الله تعالى، وتبعده عن الدنيا. وأن الحكومة والسياسة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والتصدي لإدارة الأمور تتعارض مع ذلك المقصد والهدف المعنوي الكبير!!» (الوصية، ص ١٨).

ويردّ على المجموعة الأولى بأن الشريعة الإلهية تستهدف القضاء على الظلم وانتهاك حرمة الإنسان، وهي لذلك خالدة مادامت البشرية بحاجة إلى أن تصون نفسها من ظلم الظالمين وطغيان المستكبرين:

«**لو أن إجراء العدالة الاجتماعية ومنع الظلم والنهب والقتل ضروري في صدر الخليقة، فهل أصبح ذلك أسلوبًا باليًا في قرن الذرّة؟!**» (الوصية ــ ص ١٩). وبهذه العبارة يبين الإمام مقاصد الشريعة: العدالة، ومنع الاعتداء على الإنسان في شخصيته وماله ونفسه، وهي مقاصد ترتبط بعزّة الإنسان وكرامته.

ويردّ على أصحاب السبيل الثاني بنفس أسلوب بيان المقاصد فيقول:

«**حكومة الحق المقامة لصالح المستضعفين ولمنع الظلم والجور ولإحلال العدالة الاجتماعية هي... من أعظم الواجبات، وإقامتها من أسمى العبادات**» (الوصية، ص٢٠).

وبهذين الردين على المشككين في إمكان تطبيق الشريعة وإقامة الدولة، يربط الإمام بين قيام الدولة الإسلامية وتحقيق عزة الإنسان المسلم وكرامته. وهذا الربط نشاهده أيضًا في النصوص المأثورة حيث تقول: «اللهم إنا نرغب إليك في دولة كريمة (تعزّ) بها الإسلام وأهله.. وترزقنا فيها (كرامة) الدنيا والآخرة».

وفي موضع آخر من الوصية يرى الإمام أن الحكومة الإسلامية بتطبيقها الشريعة الإسلامية تستطيع أن تحقق قوة الأمة وعزتها، وتقف بوجه من يريد أن يذلّها ويصادر مقدراتها، وتدفعها إلى مدارج التكامل المادي والمعنوي.

لذلك فإن إقامة الحكومة الإسلامية أسمى هدف سعى إليه الأنبياء والأولياء، وصيانتها يشكل قمة الواجبات الإسلامية، يقول الإمام:

«**الإسلام والحكومة الإسلامية ظاهرة إلهية يضمن تطبيقها سعادة الأفراد في الدنيا والآخرة على أعلى المستويات. و(الإسلام) له قدرة الوقوف بوجه كل محاولات الظلم**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والنهب والفساد والعدوان، وقدرة إيصال الأفراد إلى كمالهم المطلوب.

إنه مدرسة يختلف عن المدارس غير التوحيدية في تقنينه ومراقبته لجميع الشؤون الفردية والاجتماعية، المادية والمعنوية، والثقافية والسياسية والعسكرية والاقتصادية. ولا تغرب عنه أدنى مسألة ترتبط بتربية الإنسان والمجتمع وبالتقدم المادي والمعنوي. لقد بيّن ما يقف في طريق تكامل المجتمع من موانع ومشاكل، وسعى إلى إزالتها.

والآن، إذ وضع بتوفيق الله وتأييده أساس الجمهورية الإسلامية على يد مقتدرة من هذا الشعب الملتزم، وإذ تنصبّ الاهتمامات في هذه الحكومة الإسلامية على الإسلام وأحكامه السامية، فما على الشعب الإيراني المعظم إلا أن يسعى إلى تحقيق محتواها في جميع الأبعاد، وأن يصونها ويحرسها، فصيانة الإسلام قمة جميع الواجبات، والأنبياء العظام من آدم عليه السلام حتى خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم بذلوا على طريق ذلك الجهود والتضحيات الجسام، ولم يمنعهم مانع من أداء هذه الفريضة الكبرى، وهكذا بعدهم الصحابة الملتزمون وأئمة الإسلام عليهم صلوات الله بذلوا على طريق مسؤولية الصيانة مساعي مضنية بلغت حد التضحية بالدم» (الوصية،ص ١٦ – ١٧).

العزة والثقة بالنفس

الثقة بالنفس مقدمة هامة لتحقق العزة على المستوى الفردي وعلى المستوى الاجتماعي. وإذا شئت أن تخلق روح العزّة في فرد أو أمة لابد من استشعار الطاقات والكفاءات العظمى التي أودعها الله في خليفته الإنسان، ولذلك كانت الهزيمة النفسية مقدمة لازمة للسيطرة على الشعوب وإذلالها. وهذا ما فعله المستعمرون بأمتنا، وهي قصة مريرة يتحدث عنها الإمام في وصيته بإسهاب فيقول:

«من المخططات التي تركت مع الأسف تأثيرًا كبيرًا على البلدان وعلى بلدنا العزيز، ولا تزال آثارها باقية إلى حد كبير هي إبعاد البلدان المستعمَرة عن هويتها، ودفعها إلى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التبعية للغرب أو الشرق. حتى ما عادت تقيم وزنًا لنفسها وثقافتها وقدرتها، وراحت تنظر إلى القطبين المقتدرين الغربي والشرقي على أنهما من جنس أرقى، وعلى أن ثقافتهما أسمى، وأن هاتين القدرتين قبلة العالم، وأن الارتباط بأحد هذين القطبين من الفرائض الحتمية!!

وقصة هذه المأساة طويلة والضربات التي تلقيناها الآن أيضًا قاتلة وقاصمة. وأفظع من ذلك أن الشعوب المظلومة المقهورة قد أُبقيت في تخلّف شامل وجعلوا منها بلدانًا مستهلكة، وبثّوا في قلوبنا الرعب من الإقدام على أي تطور ومن (مواجهة) القوى الشيطانية، حتى ما عادت لنا الجرأة على أي ابتكار. وسلّمنا مقاليد كل شيء إليهم ووضعنا مقدّراتنا ومقدّرات بلداننا بأيديهم ورحنا نطيع أوامرهم إطاعة عمياء.

وهذا الإحساس المفتعل بالخواء والتخلّف العقلي أدى إلى أن لا نعتمد في أي أمر من الأمور على فكرنا وعلمنا، وأن نقلّد الشرق والغرب تقليدًا أعمى. بل إن الكتّاب والخطباء المهزومين أمام الشرق والغرب راحوا يسخرون ويستهزئون بما عندنا من ثقافة وآداب وصناعة وابتكار ـ إن وجد عندنا ـ وبذلك استأصلوا أصالة فكرنا وقدرتنا ودفعونا ويدفعوننا إلى اليأس، وروّجوا ـ بالفعل والقول والقلم ـ العادات والتقاليد الأجنبية على ابتذالها وفضاحتها، وقدموها إلى الشعوب بالمدح والثناء.

لو أن كتابًا أو مقالاً احتوى بضع ألفاظ غربية يتقبلونه بإعجاب دون الالتفات إلى محتواه، ويعدّون صاحبه عالمًا مثقفًا، وكل شيء يقع عليه نظرنا من المهد إلى اللحد، إن تسمّى بلفظ غربي أو شرقي، يصبح مرغوبًا وملفتًا ومن مظاهر التمدن والتقدم. وإن أطلق عليه اسمٌ أصيلٌ محلّي سيكون مطرودًا وباليًا ومتخلّفًا! وأطفالنا إن تسمّوا باسم غربي يفخرون، وإن حملوا اسمًا أصيلاً فهم خجلون متخلّفون! والشوارع، والأزقة والمحلات التجارية، والشركات، والصيدليات، والمكتبات، والصناعات الداخلية، ينبغي أن تتسمى بأسماء أجنبية كي تستهوي الناس! التغرّب التام في جميع الحركات والسكنات وفي المعاشرات وجميع شؤون الحياة تبعث على الافتخار والرفعة والمدنية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والتقدم، وبالمقابل كل العادات والتقاليد الأصيلة إنما هي تخلّف وعبادة للماضي!!!

وفي كل حالة مَرَضية ووعكة صحية، وإن كانت بسيطة قابلة للعلاج في الداخل، يجب الاتجاه إلى (المعالجة في) الخارج، (مُنزلة بذلك) حكم إدانة وحالة يأس بين أطبائهم العلماء. السفر إلى بريطانيا وفرنسا وأمريكا وموسكو مفخرة كبيرة، والذهاب إلى الحج وسائر الأماكن المتبركة هي تخلّف وعبادة للماضي!! إهمال ما يرتبط بالدين والمعنويات من علائم الحداثة والمدنية، وبالمقابل الالتزام بهذه الأمور تخلّف وعبادة للماضي!!» (الوصية، ص ٢٧ – ٢٨).

ثم بعد ذلك يشير إلى مظاهر العزّة التي تحققت بعد انتصار الثورة الإسلامية، حين عادت الثقة إلى النفس في حقل الابتكار والاختراع، ويحذّر الشعب والحكومة من الخطط التي تستهدف إعادة حالة التبعية الاقتصادية والعلمية إلى المجتمع الإيراني، خاصة تلك التي تشيع حالة الاسترخاء والفساد والغفلة في المجتمع فيقول:

«الآن، إذ تخلّصنا إلى حد كبير واسع من كثير من هذه الشراك، وقد هبّ الجيل المحروم الراهن للنشاط والابتكار، ورأينا كثيرًا من المصانع وأجهزة الطائرات المتطورة وأمور أخرى ما كان يُعتقد أن المتخصصين الإيرانيين قادرون على تشغيلها، وكانت أيدينا ممتدة نحو الغرب والشرق (نستجدي) منهم المتخصصين كي يديروا عجلات مصنعنا، وإذ راح شبابنا الأعزاء على أثر الحصار الاقتصادي والحرب المفروضة يصنعون قطع الغيار المطلوبة وبثمن أرخص (من المستورد)، وسدّوا بذلك الاحتياج، وأثبتوا أنهم إن أرادوا استطاعوا..

(الآن إذ تم ذلك) أوصي الشعب العزيز وصية خادم عطوف أن يكونوا واعين يقظين ومراقبين كي لا يستطيع أصحاب الألاعيب السياسية المرتبطون بالغرب والشرق بوساوسهم الشيطانية أن يجروكم نحو هؤلاء الغزاة الدوليين. انهضوا لقطع أواصر التبعيات بإرادة عازمة وبنشاطكم ودأبكم،

واعلموا أن العنصر الآري والعربي ليس بأقل من عنصر (سكنة) أوربا وأمريكا وروسيا.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وإذا عثر (الإيرانيون والعرب) على هويتهم ونفضوا اليأس عن أنفسهم ولم يعقدوا الأمر على الآخرين، ستحلقون بهم بشرط الاتكال على الله تعالى، والثقة بالنفس، وقطع التبعية بالآخرين، وتحمّل المشاقّ من أجل حياة مشرفة، والخروج من نير سلطة الأجانب.

وعلى الحكومات والمسؤولين في هذا الجيل والأجيال القادمة أن تكرم متخصّصيها وتشجّعهم بالمساعدات المادية والمعنوية وأن تمنع استيراد البضائع المخربة المشجعة على الاستهلاك، ويكتفوا بما عندهم ريثما يصنعوا كل شيء.

وأطلب من الشباب ذكورًا وإناثًا أن لا تجعلوا الاستقلال والحرية والقيم الإنسانية ـ ولو تحملتم من أجلها النَصَبَ والتعب ـ قربانًا في سبيل الكماليات ومجالس الطرب والتحلل والحضور في مراكز الفحشاء التي يقدمها لكم الغرب وعملاؤه المأجورون. إذ أنهم ـ كما أثبتت التجربة ذلك ـ لا يفكرون إلا بإفسادكم وإغفالكم عن مصير بلدكم، ونهب ثرواتكم، وإلقائكم في أغلال الاستعمار وتعميق العار والتبعية روح الاستهلاك في شعبكم وبلدكم، ويريدون بهذه الوسائل وأمثالها أن يبقوكم في حالة تخلّف، وفي حالة ما يسمونها هم نصف متوحشة» (الوصية، ص ٢٩ – ٣٠).

العزّة وتثمين المكتسبات

بين العزّة وتثمين الأمة لمكتسباتها ارتباط وثيق. الأمة العزيزة تعتزّ بكل ما حققه أبناؤها في ماضيهم وحاضرهم، وتثمّنه وتهتم به، وتراه جزء من هويتها وشخصيتها. أما الجماعة الذليلة فتستهين بكل ما يمتّ إليها بصلة، تستهين بمنجزاتها وتراثها بل وتستهين بعلمائها ولغتها.

ومن جانب آخر، بثّ روح الاستهانة بالمنجزات سبيل العدوّ لسلب روح العزّة من الأمة.

من هنا كانت هذه الاستهانة من محاور الإعلام المضاد للعودة الإسلامية في إيران.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومن هنا يركز الإمام على ضرورة تقدير ما تحقق من نعمة بالثورة الإسلامية باعتبارها أهم وصاياه للشعب الإيراني، يقول:

«أما وصيتي إلى الشعب الإيراني العزيز فهي أن (تقدروا) النعمة التي كسبتموها بجهادكم العظيم وبدماء شبابكم الرشيدين، قدّروها حق قدرها كأعز الأمور إليكم، وحافظوا عليها واحرسوها، وابذلوا الجهد في سبيلها فهي نعمة عظيمة إلهية وأمانة كبيرة ربانية» (الوصية، ص ٢٥).

ثم يحذّر أولئك الذين يستهينون بما تحقق بالثورة الإسلامية، ويطلب منهم: أن يقارنوا بين الأوضاع الراهنة وما كانت عليه في العهد المباد، وأن لا ينخدعوا بإشاعات الجماعات المحاربة والمفسدة، يقول:

«أوصي هؤلاء أن يطالعوا أولاً الوضع العالمي الراهن، وأن يقارنوا بين ثورة إيران الإسلامية وبين سائر الثورات، وأن يتعرفوا على أوضاع البلدان والشعوب وهي تمرّ في مرحلة الثورة وما جرى لها بعد ثورتها، وأن يطالعوا مشاكل هذا البلد الذي أصيب بالطاغوت من قبل رضاخان وأسوأ منه محمد رضا (الشاه المخلوع) اللذين خلّفا للشعب خلال مدة نهبهما تركة تتمثل بألوان التبعيات الكبيرة المهلكة وبالأوضاع (المتردية) في الوزارات والدوائر والاقتصاد والجيش، وبالمواخير، وحانات الخمور، والانحلال في جميع شؤون الحياة، وأن يدرسوا ما كانت عليه أوضاع التعليم والتربية وأوضاع المدارس والجامعات، وأوضاع السينمات، ومراكز الفساد ووضع الشباب والنساء، وهكذا وضع علماء الدين والمتدينين، والأحرار الملتزمين، والنساء العفيفات المظلومات، والمساجد في زمن الطاغوت.

(أوصيهم) أن يدرسوا ملفات المعدومين والمسجونين (في ظل الجمهورية الإسلامية)، وأن يطالعوا (أوضاع) السجون وكيفية معاملة المسؤولين فيها، وأن يمعنوا النظر في كيفية محاسبة أموال الرأسماليين والاقطاعيين الكبار والمحتكرين والمتلاعبين بالأسعار، وأن يراجعوا محاكم العدل ومحاكم الثورة، ويقارنوها بالوضع السابق للقضاء والقضاة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(أوصيهم) أن يراجعوا حالة النواب في مجلس الشورى الإسلامي وأعضاء الحكومة وحكام المحافظات وسائر المسؤولين الذين تولوا الأمور في هذا العصر، ويقارنوها (بما كان عليه الوضع) في العهد البائد، وأن يطالعوا منجزات الحكومة وجهاد البناء في القرى المحرومة من كل الخدمات حتى من ماء الشرب والمستوصف، ويقارنوا ذلك (بما أنجز) خلال كل عهد النظام السابق، مع الأخذ بنظر الاعتبار مشاكل الحرب المفروضة، وما خلّفته من ملايين المشردين وعوائل الشهداء والمعوقين في الحرب، (هذا غير) الملايين من المشردين الأفغانيين والعراقيين، ومع الأخذ بنظر الاعتبار أيضًا المحاصرة الاقتصادية والمؤامرات المتتالية التي دبرتها أمريكا وعملاؤها في الخارج والداخل، أضف إلى كل ذلك فقدان الدرجة المطلوبة من الخبرة والعدل المطلوب من قضاة الشرع، وهذا ما أثاره معارضو الإسلام والمنحرفون، بل وحتى الأصدقاء الجهلة من ضجيج وتهريج، وعشرات المسائل الأخرى.

أطلب منهم أن لا يعمدوا إلى خلق الاعتراضات والى الانتقاد اللاذع والشتم قبل أن يطالعوا تلك المسائل. وأن يرحموا حال هذا الإسلام الغريب الذي هو اليوم، بعد قرون (تعرض فيها) لظلم الظالمين وجهل الجاهلين، طفل يحبو، ووليد محفوف بالأعداء في الداخل والخارج. أنتم يا من تدبّجون الاعتراضات فكروا (واسألوا أنفسكم) أليس من الأفضل أن تجدّوا في الإصلاح والمساعدة بدل الطعن؟!، وأن تدافعوا عن المظلومين والمسحوقين والمحرومين بدل الدفاع عن المنافقين والظالمين والرأسماليين والمتحكرين الجشعين الغافلين عن الله؟! وأن تهتمّوا بأمر الذين اغتالهم الإرهابيون من علماء الدين المظلومين والمسؤولين الخدومين المتلزمين المظلومين بدل الدفاع غير المباشر عن المجموعات الفوضوية والإرهابيين المفسدين» (الوصية، ص ٢٢ – ٢٣).,

العزة وأجهزة التعليم

أجهزة التعليم لها الدور الكبير في خلق روح العزّة في الجيل. طريقة تخطيطها مناهج

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التدريس، أسلوب تعاملها مع الطلاب، المحتوى الفكري والعلمي للدروس، كل ذلك يؤثر في خلق روح العزّة أو إماتتها بين الطلاب.

أجهزة التعليم في العالم الإسلامي تتجه غالبًا إلى خلق روح التبعية والتغرّب وتمييع الهوية بين الناشئة والشباب. وهكذا كان الوضع في إيران خلال العهد البائد. وفي ظل الثورة الثقافية والأجواء الروحية الجديدة اتجه التعليم نحو التأصيل الثقافي والعمق العلمي، وإزالة الفواصل بين الدراسات الدينية والدراسات الجامعية.

الإمام الراحل يوصي بشدة أن تبقى الجامعة نقية من الانحراف والتشرق والتغرّب لتكون هذه المعاهد الدراسية مدرسة لصنع (الإنسان)، بكل ما أنعم الله عليه من عزّة وتكريم، يقول:

«من مؤامراتهم الكبرى، كما مرّ وأكدنا عليها مرارًا، السيطرة على مراكز التعليم والتربية وخاصة الجامعات التي يتسلم خريجوها مقدرات البلاد. وطريقة أولئك (المتآمرين) مع الروحانيين ومدارس العلوم الدينية تختلف عما هي عليه في الجامعات والثانويات.

طريقتهم (في الأوساط العلمية الدينية) إزاحة الروحانيين عن الطريق، ودفعهم إلى الانزواء بالقمع والحدّة والهتك، كما كان معمولاً به في زمن رضاخان، لكن النتيجة كانت عكس مطلوبهم، أو بالإشاعات والتهم والمخططات الشيطانية من أجل عزل فئة الدارسين (في المدارس والجامعات) أو ما يسمّون بالمثقفين (عن علماء الدين)، وهذا كان معمولاً به أيضًا في زمن رضاخان جنبًا إلى جنب مع الضغط والقمع، واستمر في عهد محمد رضا (الشاه)، بدون اللجوء إلى العنف ولكن بخبث.

أما في الجامعات فكانت الخطة إبعاد الشباب عن الأصالة في الثقافة والأدب والقيم وجرّهم نحو الشرق أو الغرب. ثم انتخاب المسؤولين من بين هؤلاء وتسليطهم على مصير البلدان، كي ينفّذ هؤلاء ما يريده أولئك. هؤلاء ينهمكون في جرّ البلاد إلى دار البوار والتغرّب، وفئة علماء الدين بما أحيط بها من انزواء، ولحق بها من هزيمة، غير

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قادرة على المعالجة. وهذا أفضل طريق لإبقاء حالة التخلّف ولمواصلة النهب في البلدان الخاضعة. لأن كل شيء ينساب إلى جيوب القوى الكبرى، دون أن يكلّف (هذه القوى) تعبًا أو إنفاقًا، ودون بروز أية مشكلة في المحافل الوطنية.

والآن، إذ يجري العمل في الجامعات والمعاهد العليا على إصلاحها وتطهيرها، يلزم على الجميع أن يساعدوا القائمين بهذا الأمر، وأن لا يَدَعوا الجامعات تتّجه إلى الانحراف أبدًا، وإذا شوهد انحراف علينا أن نسعى إلى إزالته بسرعة، وهذا الأمر الحياتي يجب أن يتحقق في المرحلة الأولى بالسواعد القوية لشباب الجامعات والمعاهد العليا أنفسهم، فإنقاذ الجامعة من الانحراف إنقاذ للشعب والوطن.

أتقدم إلى كل الناشئة والشباب في المرحلة الأولى، وإلى آبائهم وأمهاتهم وأصدقائهم في المرحلة الثانية، وإلى المسؤولين والمثقفين الذين يحملون هموم وطنهم في المرحلة التالية، وأوصيهم أن يبذلوا مساعيهم بكل جدّ واجتهاد في هذا الأمر المهم الذي يصون بلادكم من الآفات، وسلّموا الجامعة (نقية) إلى الجيل القادم. وأوصي الأجيال المتوالية أن يصونوا ويحرسوا الجامعة من الانحراف والتشرّق والتغرّب، لإنقاذ أنفسهم وبلدهم العزيز، وإنقاذ الإسلام الذي هو مدرسة صنع الإنسان. وبعملكم الإنساني الإسلامي هذا تقطعون يد القوى الكبرى من بلادكم، وتبعثون اليأس في قلوبهم. كان الله في عونكم وأخذ بناصركم» (الوصية ، ص ٣٠- ٣١).

العزة ومواجهة الأعداء

لا يمكن أن تخلوا أمة من أعداء، خاصة إذا كانت هذه الأمة صاحبة رسالة ترفض ظلم الظالمين وسيطرة المستكبرين. مثل هذه الأمة لابدّ أن تتعرض لسخط الطواغيت والفراعنة، ويودّ أعداء مثل الأمة لها أن «تلين» و«تُدهِنَ» و«تضعف» و«تلقي سلاحها» و«تنخدع» بالأماني الكاذبة.

والأمة في إيران بثورتها سجلت موقفًا مشهودًا من أعدائها الذين حشدوا كل قواهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لكسر روح الصمود والمقاومة فيها. ولابدّ للقائد في وصيته أن يؤكد على صيانة هذا الموقف باعتباره الطريق الوحيد لصيانة عزّة الأمة وكرامتها.

وهذا التأكيد اتخذ أسلوبين: أسلوب إماطة اللثام عن هوية الأعداء كي تنكشف حقيقتهم المتسترة وراء شعارات براقة مثل حقوق الإنسان والحرية والديمقراطية، يقول: «وشعبنا، بل الشعوب الإسلامية والمستضعفة في العالم تفخر بأن أعداءها، وهم أعداء الله تعالى والقرآن الكريم والإسلام العزيز، وحوش كاسرة، لا يتورّعون عن ارتكاب أية جريمة وخيانة، لتحقيق أهدافهم المشؤومة الجنائية، ولا يفرّقون بين عدوّ وصديق من أجل تحقيق تسلّطهم ومطامعهم الدنيئة، وعلى رأسهم أمريكا، التي تأصلت فيها طبيعة الإرهاب الحكومي، والتي أضرمت النار في جميع أنحاء العالم، وهكذا حليفتها الصهيونية العالمية التي ترتكب من أجل بلوغ مطامعها جرائم يخجل القلم عن تدوينها، واللسان عن ذكرها. وما يساور هؤلاء (الصهاينة) من أوهام بلهاء (تتمثل في) إسرائيل الكبرى تدفعهم إلى ارتكاب كل جريمة» (الوصية، ص ١٢).

والأسلوب الثاني: بث روح الفخر والاعتزاز لدى الأمة تجاه هذا العدو المنهزم المقهور أمام صمودها، يقول:

«أي فخر أعظم وأسمى من أن تصير أمريكا، بكل ادعاءتها وجميع أسلحتها ومعداتها الحربية وكل تلك الدول العميلة لها، وبجميع مالديها من ثروات طائلة (منهوبة) من الشعوب المظلومة المتخلفة، وبما عندها من وسائل إعلام، (أن تصير) عاجزة مفضوحة أمام الشعب الإيراني الغيور وأمام دولة حضرة بقية الله أرواحنا لمقدمه الفداء، حتى ما عادت تعرف بمن تتوسّل، وأينما ولّت وجهها أُلقمت حجرًا، وما كان ذلك إلا بمدد غيبي من الباري تعالى جلّت عظمته، (مدد) أيقظ الشعوب وخاصة الشعب الإيراني المسلم، وأخرجه من ظلمات ظلم الشاه إلى نور الإسلام.

أنا الآن أوصي الشعوب الشريفة المظلومة والشعب الإيراني العزيز أن يستقيموا باستحكام وصمود والتزام ومقاومة على هذا الطريق الإلهي المستقيم، الذي مَنّ الله به

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على البشرية والتحرّر من الارتباط بالشرق الملحد والغرب الظالم الكافر. وأن لا يغفلوا لحظة عن شكر هذه النعمة، وأن لا يسمحوا للأيدي الآثمة لعملاء القوى الكبرى، سواء عملاؤها الأجانب أم عملاؤها الداخليون الأفظع من الأجانب، أن تنفذ إليهم لتزلزل نفوسهم الطاهرة وإرادتهم الحديدية، وليعلموا أن وسائل الإعلام العالمية والقوى الشيطانية الشرقية والغربية، مهما ازدادت تعنتًا فإن ذلك دليل على القدرة الإلهية لهذه (الشعوب). جزاها الله تعالى خيرًا في هذه الدنيا وفي العوالم الأخرى إنه ولي النعم وبيده ملكوت كل شيء» (الوصية، ص ١٢ – ١٣).

العزّة في الارتباط بالله

الإنسان بفطرته ينشد العزّة، لأن الله سبحانه هو العزيز المطلق، ولأن الإنسان كادح إلى ربه، ولا عزّة حقيقية إلا لله وللسائرين على طريق الله، وكل ما عداها فهي عزّة سرابية يحسبها الظمآن ماءا.

والإمام في كل خطبه الأخلاقية والعرفانية، وفي سلوكه الفردي والاجتماعي، وفي مواقفه خلال كل مراحل الثورة قدّم للأمة النموذج الأسمى للفرد المنقطع إلى الله، العزيز بالله الواحد الأحد القهّار.

في وصيته يركّز على أن كل ما تحقق في الثورة إنما كان بفضل الله وعونه وتسديده، يركّز على هذا كي يحول دون استفحال الذاتيات الفردية التي قد تبرز مطالبة باحتكار الثورة، بحجّة أنها هي التي صنعت الثورة، فالثورة صنعها ٣٦ مليون إنسان، أي الشعب الإيراني بأجمعه، ثم إن هذه الملايين ما كانت هي الرامية ولكن الله رمى، فالعمل الجبار الذي تحقق أكبر من أن يدّعيه فرد أو جماعة أو شعب. كل ذلك يؤكد عليه الإمام الراحل من أجل أن يربط الأمة بمصدر العزّة والجلال . يقول:

«نعلم أن هذه الثورة العظمى التي قلّمت أظافر الناهبين الدوليين والظالمين في إيران الكبرى قد حققت نصرها بتأييد إلهي غيبي. ولو لم تكن يد الله القادرة ما كان بإمكان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مجموعة بشرية من ٣٦ مليون إنسان (أن تحقق ما حققته)، رغم كل ذلك الإعلام المعادي للإسلام والمعادي لعلماء الدين، خاصة خلال هذا القرن الأخير، ورغم تلك النشاطات الواسعة التي بذلت بالكلمة المقروءة والمسموعة لتمزيق الصف في الصحافة والخطابة والمجالس والمحافل المعادية للإسلام، والمعادية للوطنية (وان اتخذت) ظاهراً وطنيًا، ورغم كل ذلك الشعر الماجن، ومراكز الفساد والفحشاء والقمار والمسكرات والمخدرات التي اتجهت بأجمعها إلى جرّ جيل الشباب، الفعّال، القادر على دفع عجلة بلاده نحو التقدم والرقي، إلى الفساد وإلى اللامبالاة إزاء الأعمال الخيانية التي ارتكبت بيد الشاه الفاسد وأبيه الجاهل والحكومات والمجالس الشكلية المفروضة على الشعب من قبل السفارات المقتدرة.

وأفظع من ذلك ما كان من وضع الجامعات والمدارس ومراكز التعليم التي أوكلت إليها مقدرات البلاد وما فيها من معلمين وأساتذة تابعين للغرب أو الشرق معارضين تمامًا للإسلام وللثقافة الإسلامية بل الوطنية الصحيحة مع تقمّصهم الوطنية والقومية.

(طبعًا) كان بين هؤلاء (المعلمين والأساتذة) رجال ملتزمون مخلصون، غير أن ضآلة عددهم وما كان يحيطهم من تضييق لم يسمح لهم أن يؤدوا عملاً إيجابيًا..

رغم كل ذلك وعشرات المسائل الأخرى، ومنها دفع علماء الدين إلى العزلة والانزواء، (بل) جرّ كثير منهم إلى الانحراف الفكري بفعل الدعايات المضللة، (نعم، لو لم تكن يد الله القادرة) ما كان بإمكان هذا الشعب، المحاط بمثل هذا الوضع، أن ينهض كتلة واحدة، وأن يستطيع بهدف موحّد في جميع أنحاء البلاد وبصوت الله أكبر، وببذل تضحيات إعجازية محيّرة أن يطيح بكل القوى الداخلية والخارجية ويمسك بيده مقدرات بلاده.

من هنا يجب أن لا يعترينا شك في أن الثورة الإسلامية الإيرانية لا نظير لها بين الثورات، في النشأة وفي كيفية النضال، وفي دوافع الثورة والنهوض، ومما لا ترديد فيه أنها كانت عطاءاً إلهيًا، وهدية غيبية وهبها الباري المنان لهذا الشعب المظلوم المنهوب».

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويرتفع الإمام في نهاية وصيته إلى ذروة العرفان حين يخاطب الشعب الإيراني طالبًا منه أن يواصل طريق ذات الشوكة، فهو الطريق الذي يستشعر فيه الإنسان النفحة الإلهية، ويتجلّى في وجوده جمال الله وجلاله، ويصبح الأرضيون أشرف من الملكوتيين.

يغبط الإمام الراحل أولئك الذين نهلوا هذه النفحة الإلهية بجهادهم وتضحياتهم في ساحات الجهاد وفي ساعات العمل البنّاء ويقول لهم: ياليتنا كنا معكم فنفوز فوزًا عظيمًا.

هذا التركيز على النفحة الإلهية الغيبية ينطلق من مدرسة عرفانية آمن بها الإمام الراحل وسار عليها وهي العرفان الجهادي الذي يجعل الوصول إلى الله يمر عبر الجهاد والتضحية، وبذل النفس والنفيس في سبيل الله وخَلْقِ الله. كما أنه يدفع الأمة لأن ترى عزتها وكرامتها وتكاملها وسموها في الارتباط بالله لا غير. يقول الإمام:

«في خاتمة هذه الوصية، مرة أخرى أوصي الشعب الإيراني النبيل (وأقول له): تحمل الأتعاب والمشاق والتضحيات والفداء والحرمان يتناسب مع مقدار عظمة الهدف وقيمته وعلوّ مرتبته. والذي نهضتم أنتم أيها الشعب الشريف المجاهد من أجله وتحثون الخطى على طريقه وقدمتم النفس والنفيس من أجله هو أعلى وأسمى وأثمن هدف ومقصد طرح ويُطرح منذ بدء العالم في الأزل وحتى نهاية العالم إلى الأبد.

إنه المدرسة الإلهية بمعناها الواسع وعقيدة التوحيد بأبعادها السامية.

إنه أساس الخلق وغايته في كل آفاق الوجود، وفي مراتب ودرجات الغيب والشهود.

(وهذا الهدف) متجلّ في المدرسة المحمديّة على صاحبها وآله أفضل الصلاة والسلام، بكل المعاني والدرجات والأبعاد. وكل مساعي الأنبياء العظام عليهم سلام الله والأولياء الكرام سلام الله عليهم كانت لتحقيق (هذا الهدف)، وبدونه لا يتيسر السبيل إلى الكمال المطلق، ولا إلى الجلال والجمال اللامتناهيين.

إنه هو الذي يجعل الأرضيين أشرف من الملوكتيين، وما يناله الأرضيون من الاتجاه نحوه، لا تناله الموجودات الأخرى في كل أرجاء الخليقة ما خفي منها وما بطن.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أنتم أيها الشعب المجاهد تنضوون تحت لـواء يُرفـرف خفّاقًـا في جميـع أرجـاء العـالم المادي والمعنوي، وجدتموه أم لم تجدوه. أنتم تسلكون طريقًا هو الطريـق الوحيـد لجميـع الأنبياء عليهم سلام الله، وهو الطريق الوحيد للسعادة المطلقة. وانطلاقًا من هذا المفهـوم استعذَبَ أولياءُ الله الشهادة على هذا الطريق، ووجـدوا المـوت الأحمـر أحلـى لهـم مـن العسل، وشبابكم نهلوا جرعة من (هذه النفحـة الإلهيـة) في الجبـهات، فغمـرهم الوجـد، وتجلت أيضًا لأمهات (الشهداء) وأخواتهم وآبائهم وإخوتهم ويحـقّ لنـا أن نقـول لهـم: «ياليتنا كنا معكم فنفوز فوزًا عظيمًا».

هنيئًا لهم ذلك النسيم الرائع وذلك التجلّي المـنير، وينبغـي أن نعلـم أنّ ومـضة مـن ذلك التجلّي مشهودة في المزارع المحرقة، والمصانع المتعبة، وفي المعامل ومراكـز الـصناعة والاختراع والإبداع، وفي أكثريـة أبنـاء الـشعب (المتواجـدين) في الأسـواق والـشوارع والقرى، وفي كل القائمين بأمر من الأمور مـن أجـل الإسـلام والجمهوريـة الإسـلامية والتطوير والوصول إلى الاكتفاء الذاتي. وماتزال روح التعاون والالتـزام هـذه قائمـة في المجتمع فإن الـوطن العزيـز سـيكون مـصونًا مـن حـوادث الـدهر إن شـاء الله تعـالى. والحوزات العلمية والجامعات والشباب الأعزاء في مراكز العلم والتربية يتمتعـون بحمـد الله تعالى بهذه النفحة الإلهية الغيبية. وهذه المراكز تحـت تـصرفهم بـشكل كامـل، ويـد المفسدين والمنحرفين لا تنالها بإذن الله.

ووصيتي إلى الجميع هي أن تسيروا قُدُمًا نحو معرفة ذاتكـم، ونحـو الاكتفـاء الـذاتي والاستقلال بكل أبعاده، واضعين الله نصب أعينكم، ومن المؤكـد أن يـد الله معكـم إن كنتم في خدمة الله، وإن استمرت فيكم روح التعاون من أجل رقـي الـوطن الإسـلامي ورفعته. وأنا بما أعهده في هذا الشعب العزيز من يقظة وفطنة والتـزام وتـضحية وروح مقاومة وصلابة على طريق الحق، آمل بفضل الله المتعال أن تنتقل هذه المعاني الإنـسانية إلى الأعقاب، وتثرى جيلاً بعد جيل» (الوصية، ص ٥٨ ، ٥٩).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العزّة والقيادة

عزّة الشعب تبدأ غالبًا من ممارسات قيادته، وهكذا ذلّه. فإذا كانت القيادة تقيم للإنسان وزنًا وتؤمن بعزته وكرامته فإن التوجه العام للأمة ينحو باتجاه العزة، وإن كانت القيادة تتخذ من الشعب خَوَلا ومن ثروته مَغْنمًا، فذلك أساس ذلّ المجتمع.

الإمام الراحل في سلوكه مع الجماهير وفي لغة خطابه كان يعبر عن ثقة غير متناهية بالجماهير، يرى أن كل ما تحقق من نِعَم فبفضل الله وبواسطة هذه الجماهير. يتحدث عن الناس وكأنه يعشقهم واحدًا واحدًا، ويتواضع أمام الناس تواضعًا لا حد له دون مَلَق أو تزلّف.

يخاطب المسؤولين في وصيته يقول:

«وأوصي المجلس والحكومة والمسؤولين أن يقدروا هذا الشعب حقّ قدره، وأن لا يألوا جهدًا في خدمته وخاصة المستضعفين والمحرومين والمظلومين منهم، فهؤلاء ضياء أعيننا، وأولياء نعمتنا جميعًا، والجمهورية الإسلامية عطيتهم، وتحققها كان بفضل تضحياتهم، وبقاؤها رهين خدماتهم، اعتبروا أنفسكم من الجماهير والجماهير منكم» (الوصية، ص ٢٥).

ثم يرتفع في مقطع آخر من الوصية لينظر إلى الشعب نظرة تاريخية، فيقارنه بالجيل الإسلامي الأول الذي تشرّف بعصر النبوّة أو بعصر الخلافة الراشدة فيقول بجرأة:

«أنا أزعم بجرأة أن الشعب الإيراني بجماهيره المليونية في العصر الراهن أفضل من أهل الحجاز في عصر رسول الله (ص)، (وأفضل من أهل) الكوفة في العراق على عهد أمير المؤمنين والحسين بن علي صلوات الله وسلامه عليهما، فالمسلمون في الحجاز على عهد رسول الله(ص) (منهم من) أبوا أن يطيعوا الرسول ورفضوا ـ بذرائع مختلفة ـ التوجه إلى جبهات القتال حتى أنزل الله آيات من سورة التوبة توبّخهم وتَعِدُهم بالعذاب، ثم (منهم من) كذبوا على (النبي) حتى روي أنه دعا عليهم على المنبر. وأهل العراق والكوفة أساؤوا التعامل مع أمير المؤمنين وعصوه، وشكاوى الإمام منهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

معروفة في المأثور وكتب التاريخ، ومسلمو العراق والكوفة فعلوا ما فعلوا بسيد الشهداء (الحسين بن علي)، وأولئك الذين لم يرتكبوا إثم قتله، إما أن فرّوا من المعركة، أو جلسوا حتى وقعت جريمة التاريخ تلك.

ونحن نرى اليوم أن الشعب الإيراني بقواه المسلحة النظامية والانتظامية والحرس والتعبئة وهكذا القوى الشعبية من عشائر ومتطوعين في الجبهات، والجماهير خلف الجبهات (يندفعون) بشوق وشغف ليقدّموا التضحيات، وأية تضحيات! وليسجلوا الملاحم وأية ملاحم! ونرى أن الجماهير المحترمة في جميع أرجاء البلاد تقدم المساعدات القيّمة وأية مساعدات! ونرى أن عوائل الشهداء ومعوّقي الحرب وذويهم يواجهوننا نحن وأنتم بوجوه طافحة بالحماس، وبأعمال وأقوال تنمّ عن شوق واطمئنان، وذلك كله نابع من عشق هؤلاء وتعلّقهم وإيمانهم المتزايد بالله تعالى والإسلام والحياة الخالدة، بينما لا يعيش هؤلاء في بَركة محضر الرسول الأكرم(ص) ولا في محضر الإمام المعصوم صلوات الله عليه، ودافع هؤلاء هو الإيمان والثقة بالغيب. وهذا هو رمز التوفيق والنجاح في الأبعاد المختلفة، وللإسلام أن يفخر بتربية أفراد كهؤلاء، ونحن نفخر جميعًا أن نكون في عصر كهذا وفي كنف أمة كهذه» (الوصية، ص ٢٣ – ٢٤).

بهذه الثقة العجيبة تعامل الإمام القائد مع الجماهير، وبهذا التواضع خاطب الأمة في سطور وصيته الأخيرة، غارسًا روح الكرامة والعزّة والسموّ في نفوس مخاطبيه، إذ يقول:

«بفؤاد وادع وقلب مطمئن ونفس مبتهجة وضمير يؤمّل فضل الله، أستودعكم أيها الإخوة والأخوات لأرحل إلى مقرّي الأبدي، وأنا بحاجة مُبرمة إلى صالح دعائكم. وأسال الله الرحمن الرحيم أن يقبل عذري في نقص الخدمة وفي القصور والتقصير. وأرجو من أبناء الشعب أن يقبلوا عذري في كل نقص وقصور وتقصير. وأن يسيروا قُدُمًا بعزم ومضاء، وليعلموا أن ذهاب واحد من العاملين في حقل الخدمة سوف لا يخلّ بالسد الحديدي الجماهيري، إذ هناك عاملون أرفع وأسمى مشغولون في الخدمة، والله يرعى هذا الشعب وكل الشعوب المظلومة في العالم» (الوصية، ص ٦٠).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وانطلاقًا من إيمانه بدور القيادة في تحقيق عزّة المسلمين يدعو الإمام الراحل في وصيته تارة إلى سيادة روح التفاهم بين الحكومات والشعوب في كل البلدان الإسلامية كما ساد في إيران بقوله:

«ومن المؤمل أن يشعّ نورها (الجمهورية الإسلامية) على جميع البلدان الإسلامية، وأن يسود التفاهم بين جميع الحكومات والشعوب في هذا الأمر الحياتي، وأن يقطعوا إلى الأبد يدَ جُناة التاريخ والقوى المتجبّرة الناهبة الممتدة إلى الظالمين والمحرومين في العالم» (الوصية، ص ١٧).

ويدعو الإمام الشعوب تارة أخرى إلى ممارسة حقّها في الاستقلال والحرية دون الاعتماد على الحكومات، لأن غالب قيادات العالم الإسلامي في القرن الأخير، على الأقل، أثبتت عدم كفاءتها في تحقيق عزّة شعوبها بسبب ذاتياتها وعمالتها. يقول:

«وأنتم يا مستضعفي العالم، وأيتها البلدان الإسلامية ويا مسلمي العالم، انهضوا واستعيدوا حقّكم بكل ما تملكونه من قوّة، ولا تهابوا ما تثيره القوى الكبرى وعملاؤها من ضجيج إعلامي، واطردوا من بلدانكم الحكّام المجرمين الذين يقدّمون ثمرة كدحكم إلى أعدائكم وأعداء الإسلام العزيز، وامسكوا أنتم والفئات المخلصة الملتزمة زمام الأمور، وانضووا جميعًا تحت راية الإسلام المشرّفة، وهبّوا للدفاع أمام أعداء الإسلام وأعداء المحرومين في العالم. وسيروا حثيثًا نحو إقامة دولة إسلامية بنظام جمهوري حرّ مستقل. فبتحقق ذلك سوف تلقمون مستكبري العالم حجرًا، وسوف توصلون كل المستضعفين إلى إمامة الأرض ووراثتها. على أمل تحقق ذلك اليوم الذي وعد به الله تعالى» (الوصية، ص ٥٨).

العزّة وممثلو الشعب

نظام التمثيل الشعبي في المجالس التشريعية ساد العالم الإسلامي بعد الانفتاح على التجربة الأوربية، وهو نظام يمكن أن يتجه نحو تحقيق مصالح الأمة والدفاع عن عزّها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وكرامتها واستقلالها، كما يمكن أن يكون وسيلة للتلاعب بمقدرات الشعب وتمرير السياسات الاستعمارية.

مجلس الشورى الوطني تشكَّلَ في إيران على أثر الحركة الدستورية (المشروطة) التي انطلقت في أواخر العصر القاجاري واستمرت عشر سنوات (١٣١٥ – ١٣٢٥هـ)، ولكن القوى الطامعة الأجنبية، بالتعاون مع السلطة الحاكمة العميلة، استطاعت أن تسيطر على جوّ المجلس، وتقمع كل صوت تحرري فيه، كصوت المرحوم المدرّس الذي أُقصي من المجلس، رغم ما كان يتمتع به من قاعدة جماهيرية، بسبب دفاعه عن كرامة الأمة وعزّتها ومصالحها ومقدّراتها.

يوصي الإمام بالاهتمام الشديد بصيانة المجلس من المنحرفين عن طريق الحضور الجماهيري الفعّال في ساحة انتخابات الأعضاء، وأن ينتخبوا الأفراد الذين يعيشون هموم الأمة وآمالها.

يقول بشأن مجلس الشورى ومجلس الخبراء ومجلس مراقبة الدستور:

«من مُهمات الأمور التزام نواب مجلس الشورى الإسلامي. لقد شاهدنا بأم أعيننا كم تلقى الإسلام وإيران من صدمات مؤلمة، جراء مجلس الشورى المنحرف غير الصالح، منذ الفترة التي أعقبت المشروطة حتى عصر النظام البهلوي المجرم، وأفظعه وأخطره ما حلّ في فترة ذلك النظام الفاسد المفروض (على الأعناق). وما أكثر المصائب وأفدح الخسائر التي حلّت بالوطن والشعب على يد أولئك الجناة التافهين المأجورين!

خلال هذه الأعوام الخمسين أدّى (أمر مجلس الشورى) بأكثريته المزيفة المنحرفة إزاء أقلية مظلومة، إلى أن تستطيع بريطانيا والاتحاد السوفيتي وأخيرًا أمريكا أن تفعل كل ما تريده على يد نفس هؤلاء المنحرفين الغافلين عن الله، وأن يدفعوا بالبلاد إلى الفساد والفناء.

بعد عصر المشروطة، لم تُطبَّق في أي وقت من الأوقات تقريبًا مواد الدستور الهامة. (وكانت السيطرة في المجلس) قبل رضاخان بيد المتغربين والإقطاعيين، وفي عهد النظام

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البهلوي بيد ذلك النظام السفّاك وأتباعه ومأجوريه الطيّعين.

والآن، وبفضل عناية الباري وهمّة الشعب المعظم، وقعت مقاليد أمور البلاد بيد الجماهير. والنواب وجدوا طريقهم إلى مجلس الشورى الإسلامي، بانتخاب الناس دون تدخل الحكومة والاقطاعيين، ومن المؤمّل أن يحول تعهّد هؤلاء بالإسلام وبصالح البلاد دون حدوث أي انحراف.

(الآن إذ حدث هذا) أوصي الشعب في الحال والمستقبل أن يهتموا بعزم راسخ والتزام بأحكام الإسلام ومصالح البلاد، في أن يرسلوا إلى المجلس، بكل دورة من الانتخابات، نوابًا ملتزمين بالإسلام وبالجمهورية الإسلامية، وهم غالبًا من بين الفئات المتوسطة والمحرومة في المجتمع، وغير المنحرفة عن الصراط المستقيم نحو الغرب أو الشرق، وبدون ميول منحرفة، (نوّابًا) دارسين ومطّلعين على شؤون الساعة والسياسة الإسلامية. وأوصي فئة علماء الدين المحترمين وخاصة المراجع العظام أن لا يتّخذوا موقف انزواء وعدم اكتراث تجاه مسائل المجتمع، خاصة مثل مسألة انتخاب رئيس الجمهورية وانتخاب نوّاب المجلس.

كلكم رأيتم وسيسمع ذلك الجيل القادم، أن أيدي محترفي الألاعيب السياسية الشرقيين والغربيين، قد أخرجوا من الساحة علماء الدين الذين وضعوا أساس المشروطية بجهودهم وأتعابهم، وعلماء الدين أيضًا انطلت عليهم أحبولة المتلاعبين بالسياسة، واعتبروا التدخل في أمور البلاد والمسلمين لا يتناسب مع مقامهم! وتركوا الساحة إلى المهزومين أمام الغرب وأنزلوا بالمشروطية والدستور والبلاد والإسلام ما يحتاج جبرانه إلى زمن طويل.

والآن، وقد أزيلت الموانع ولله الحمد، وتوفرت الأجواء الحرة لمشاركة كل الفئات، لم يعد هناك أي عذر، والمسامحة في أمر المسلمين من الذنوب الكبرى التي لا تُغتفر. كل فرد بمقدار قدرته وسعة نفوذه يجب أن يكون في خدمة الإسلام والوطن العزيز، وأن يحول بجدّ دون نفوذ المرتبطين بالقطبين الاستعماريين، ونفوذ المهزومين أمام الشرق أو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الغرب، والمنحرفين عن مدرسة الإسلام الكبرى. واعلموا أن أعداء الإسلام والبلدان الإسلامية، والقوتين الكبريين ذات الأطماع الدولية، يتغلغلون بهدوء وبتدريج في بلدنا والبلدان الإسلامية الأخرى، ويوقعون البلدان في فخ الاستثمار على يد أبناء الشعوب أنفسهم. عليكم أن تتحلّوا بالوعي والحذر، وأن تهبّوا للمواجهة عند إحساسكم بأول خطوة نفوذ، ولا تمهلوهم. كان الله معكم وفي عونكم.

وأطلب من نواب مجلس الشورى الإسلامي في هذا العصر والعصور المقبلة أنه إذا قُدّر لا سمح الله أن تفرض عناصرُ منحرفة بالدسائس والألاعيب السياسية نيابتها على الناس، فعلى المجلس أن يرفض توثيق نيابتهم، وأن لا يَدَعَ حتى عنصرًا واحدًا مخربًا وعميلاً يجد طريقه إلى المجلس. وأوصي الأقليات الدينية الرسمية أن تتعظ بدورات (مجلس) النظام البهلوي، وأن تنتخب نوابها من بين الملتزمين بدينهم، وبالجمهورية الإسلامية، وغير المرتبطين بالقوى الدولية الطامعة، ومن غير أصحاب الميول الإلحادية والمنحرفة والالتقاطية، وأطلب من كل النواب أن يتعاملوا مع زملائهم في المجلس بكل حسن نية وأخوّة، كي لا تنحرف القوانين لا سمح الله عن الإسلام. وكونوا جميعًا أوفياء للإسلام وأحكامه السماوية لتنالوا سعادة الدنيا والآخرة.

وأطلب من مجلس مراقبة الدستور المحترم، وأوصيه سواء كان في هذا الجيل أو الأجيال المقبلة أن ينهض بواجباته الإسلامية والوطنية بكل دقة وقدرة، وأن لا تؤثر عليه أية قوة، وأن يقف بوجه كل قانون مخالف للشريعة المطهرة وللدستور بدون أي تحفّظ، وأن يلتفت إلى ضرورات البلاد التي تستوجب أحيانًا تنفيذ الأحكام الثانوية وأحيانًا أخرى ولاية الفقيه.

ووصيتي إلى الشعب الشريف هي أن يتواجد على الساحة في جميع الانتخابات، سواء انتخابات رئاسة الجمهورية أو انتخابات نواب مجلس الشورى الإسلامي أو انتخابات مجلس الخبراء، من أجل تعيين مجلس القيادة أو القائد، وأن ينتخب الأفراد وفق ضوابط ذات اعتبار. فلو حدث مثلاً تساهل في انتخاب (أعضاء مجلس) الخبراء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لتعيين مجلس القيادة أو القائد، ولم ينتخبوا الخبراء وفق موازين شرعية وقانونية فقد تنزل بالإسلام والبلاد أضرار لا تعوض. وفي هذه الحالة يصبح الجميع مسؤولين أمام الله تعالى.

ومثل (التساهل) عدم المشاركة. فأبناء الشعب (ابتداء) من مَراجِعِه وعلمائه الكبار، حتى فئة الحرفيين والفلاحيين والعمال والموظفين، مسؤولون بأجمعهم عن مصير الوطن والإسلام، سواء في الجيل الراهن أو الأجيال المقبلة. وقد يكون عدم الحضور والمشاركة في وقت من الأوقات من الذنوب الكبيرة. فعلاج الواقعة يجب أن يتم قبل وقوعها، وإلاّ فَلَتَ الزمام من يد الجميع. وهذه حقيقة لمسناها ولمستموها بعد المشروطة. لا علاج أفضل وأسمى من أن يؤدي الشعب في جميع أرجاء البلاد ما عليه من مسؤوليات موكلة إليه وفق المعايير الإسلامية وقوانين الدستور، وأن يستشير في انتخاب رئيس الجمهورية ونواب المجلس الأفراد المتعلمين الملتزمين المتنوّرين، المطّلعين على مجاري الأمور، وغير المرتبطين بالبلدان الطامعة المستغلة، والمشهورين بالتقوى والالتزام بالإسلام والجمهورية الإسلامية، وأن يستشير أيضًا العلماء والروحانيين المتقين والملتزمين بالجمهورية الإسلامية. وعلى أبناء الشعب أن يهتموا بأن يكون رئيس الجمهورية ونواب المجلس من طبقة لمست محرومية المحرومين ومظلومية المستضعفين، وممن يهتم بأمر رفاه هؤلاء (المظلومين والمستضعفين) لا (أن يكون) من الرأسماليين، والإقطاعيين، والمتعالين المرفهين، والغارقين في الشهوات والملذات، من الذين لا يستطيعون أن يفهموا مرارة الحرمان وعذاب الحفاة والجياع.

ولنعلم أنه إذا كان رئيس الجمهورية ونوّاب المجلس أفرادًا لائقين وملتزمين بالإسلام وممن يحمل هموم الوطن والشعب، فإن كثيرًا من المشاكل لا تظهر، وإن ظهرت تحلّ. ونفس هذه المسألة ينبغي أن تُراعى بشكل خاص في انتخاب مجلس القيادة أو القائد. فإذا انتخب الشعب الخبراء انتخابًا دقيقًا قائمًا على استشارة المراجع العظام في كل عصر والعلماء الكبار في جميع أرجاء البلاد والمتدينين والعلماء، فإن كثيرًا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من المشاكل والعقبات سوف تُدرأ عن طريق انتخاب أكثر الشخصيات لياقة والتزامًا للقيادة أو لمجلس القيادة، أو أن هذه المشاكل سوف تحلّ بكفاءة.

ومن الأصل التاسع بعد المائة والعاشر بعد المائة في الدستور، تتضح المسؤولية الثقيلة التي يتحملها الشعب في انتخاب أعضاء مجلس الخبراء والنواب وانتخاب القائد أو مجلس القيادة (ويتضح) أن أدنى تساهل في الانتخاب سوف ينزل بالإسلام والجمهورية الإسلامية أضرارًا، وأية أضرار! واحتمال وقوع تلك (الأضرار) أمر ذو أهمية بالغة يؤدي إلى إيجاد تكليف إلهي» (الوصية، ص ٣١ – ٣٥).

العزّة والقوات المسلحة

القوات المسلحة هي رمز عزّة الأمة، لأنها تمثل القوة الضاربة المضحية المدافعة عن كرامة الوطن ومكتسباته. ومنذ أوائل عصر الاستعمار اتجه الطامعون إلى التغلغل في صفوف المؤسسة العسكرية باسم التدريب، ونقل الخبرات، وتطوير التسليح، والاستشارات العسكرية، أو عن طريق الجواسيس والعملاء، حتى ما عادت الأمة في كثير من بقاع عالمنا الإسلامي تثق بقواتها المسلحة، ولا تعتبرها منها، ولا مدافعة عن مصالحها، بل رأت الأمة في كثير من الأحيان دخول القوات المسلحة لقمع إرادة الشعب وإحكام قبضة الحديد والنار عليه. يقول الإمام:

«القوات المسلحة، ابتداء من الجيش والحرس وقوات الدرك والشرطة وحتى اللجان (الثورية) والتعبئة والعشائر، لها خصوصيتها، فهي باعتبارها العضد المفتول القوي للجمهورية الإسلامية، وحارسة الثغور والطرق والمدن والقرى، وحافظة الأمن وواهبة الاستقرار للشعب، يجب أن تكون موضع اهتمام خاص من الشعب والحكومة والمجلس، ومن اللازم أن يفهموا أن أطماع القوى الكبرى والسياسات المخربة تتجه إلى القوات المسلحة أكثر من أي شيء ومن أية فئة. فبيد القوات المسلحة تنفِّذ الانقلابات وتغيّر الأنظمة والحكومات، ويعمل النفعيون الماكرون إلى شراء ذمة بعض قادتهم، وبذلك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يُخضعون الشعوب المظلومة لسلطاتهم ويصادرون من البلدان الاستقلال والحرية.

ولو أن الأمر تصدى له قادة عفيفون لما تسنّى لأعداء البلدان أن ينفذوا فيها مؤامرة أو أن يحتلوها إطلاقًا، وإن تسنّى لهم مرّة فسيواجهون الفشل والهزيمة على يد القادة الملتزمين» (الوصية، ص ٤٢).

ويقدم الإمام إلى القوات المسلحة وصايا خاصة تتلخص في الحذر من الوقوع في الأحابيل السياسية والانتماءات الفئوية، كي تبقى القوات المسلحة ملكًا لجميع الشعب والوطن، وفي مراقبة هذه القوات كي يكون كل تحركها منسجمًا مع مصالح البلاد والدولة الإسلامية، وفي الالتزام بالإسلام باعتباره الضمان الوحيد للاستقامة على الطريق. يقول الإمام:

«أوصي القوات المسلحة عامة وصية أخوية في هذا الشوط الأخير من حياتي (وأقول لهم): أيها الأعزّة المتعشقون للإسلام، ويا مَنْ تواصلون التضحيات في الجبهات والأعمال القيمة في أرجاء البلاد، يحدوكم حب لقاء الله! كونوا واعين منتبهين، فأصحاب الألاعيب السياسية والسياسيون المنحرفون المتغربون والمتشرّقون والأيدي الخيانية المشبوهة المستترة، صوّبت رؤوس حراب أسحلتها الخيانية الإجرامية صوبكم من كل جانب، واليكم أكثر من أية فئة أخرى. ويستهدفون أن يستغلوكم ، أنتم أيها الأعزّة الذين سجلتم بتضحياتكم الانتصار للثورة والحياة للإسلام، للإطاحة بالجمهورية الإسلامية ، وأن يعزلوكم عن الإسلام وعن الشعب باسم الإسلام وباسم خدمة الوطن والشعب، ثم يلقوكم في أحضان أحد القطبين الطامعين الدوليين، وبذلك يبدّدوا أتعابكم وتضحياتكم بأحابيل سياسية وبمكائد تتقمص ظواهر إسلامية ووطنية.

وصيتي المؤكدة للقوات المسلحة هي الالتزام بمقررات النظام القاضية بعدم انتماء العسكريين إلى التجمعات الحزبية والفئوية والجبهوية، وعلى القوات المسلحة عامة النظامية والانتظامية والحرس والتعبئة وغيرهم أن يمتنعوا عن الدخول في أي حزب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتجمّع، وأن يبتعدوا عن الألاعيب السياسية. وفي هذه الحالة يستطيعون أن يحافظوا على مقدرتهم العسكرية وأن يأمنوا الاختلافات الفئوية. وعلى قادة الجيش منع مَنْ هم تحت إمرتهم من الدخول في الأحزاب.

ولما كانت الثورة ثورة كل الشعب، وصيانتها مسؤولية (يتحملها) الجميع، فإن الواجب الشرعي والوطني يفرض على الحكومة والشعب ومجلس الدفاع ومجلس الشورى الإسلامي أن يتخذوا منذ الخطوة الأولى موقف المعارض فيما إذا أرادت القوات المسلحة على مستوى كبار القادة أو على المستويات الأخرى أن تُقدم على عمل يتعارض مع مصالح الإسلام والبلاد، أو أن تنتمي إلى الأحزاب مما يؤدي حتمًا إلى دمارها، أو تدخل في ألاعيب سياسية. على القائد ومجلس القيادة أن يحولوا دون ذلك بحزم كي يصونوا البلد من الأخطار.

أتقدم إلى القوات المسلحة في نهاية حياتي الترابية بوصية مشفقة أن استقيموا على وفائكم ـ كما أنتم أوفياء اليوم للإسلام - فهو المدرسة الوحيدة للحرية والاستقلال، وبنور هدايته يدعو الله سبحانه جميع (البشرية) إلى السموّ الإنساني. إنه ينقذكم وبلدكم وشعبكم من ذل التبعية والانقياد إلى قوى لا هدف لها سوى استعبادكم، وسوى جرّ بلادكم وشعبكم العزيز إلى الانحطاط والى (الانغماس في) سوق الاستهلاك والخضوع لوطأة ذل الظلم» (الوصية، ص ٤٣ – ٤٤).

العزّة والمَثَل الأعلى

أهم واجبات القيادة المخلصة دفع الأمة نحو مَثَلٍ أعلى يجسّد طموحات هذه الأمة إلى التكامل والرقي والسموّ المادي والمعنوي، ومن دون وجود مَثَل أعلى يبقى الأفراد يعيشون همومهم اليومية الاعتيادية، ويصابون على أثر ذلك بالتفرّق والضعف وتزداد بذلك عندهم «قابلية الاستعمار».

من هنا يحثّ الإمام في ثنايا وصيّته أبناء الأمة على طلب العزّة مهما كلّف الثمن،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ورفض حالة الذلّ مهما اقترنت بالرخاء المادّي والمتاع الدنيوي، يقول:

«عليكم أن تفضّلوا الحياة المشرّفة، وإن اقترنت بالمشاكل، على حياة ذليلة مقرونة بالاستعباد للأجانب وإن صحبها رفاه حيواني. واعلموا أنكم ما دمتم في تأمين احتياجاتكم من الصناعات المتطورة تمدون أيديكم إلى الآخرين، وتقضون عمركم في الاستجداء، فإن قدرة الابتكار في الاختراعات سوف لا تنفتح فيكم» (الوصية، ص ٤٤).

ويستثير الإمام روح العزّة في النفوس مرارًا في وصيته، ويضع أمام الأمة هدفًا بعيداً يستحق كل تضحية وفداء لتحقيقه، مردداً كلام آية الله السيد حسن المدرس (ت ١٣٥٦هـ) الذي قارع النظام البهلوي منذ أوائل تأسيسه، إذ رفع صوته في مجلس الشورى قائلاً: (إذا تقرر أن نُباد فلماذا نبادَ بأيدينا) أي لماذا نموت ميتة ذل واستسلام وهزيمة؟! أليس من الأجدر أن نموت ميتة مشرّفة في ساحات مواجهة العدو؟! يقول الإمام:

«ضعوا كلام المرحوم (المدرّس)، ذلك العالم الديني الملتزم الطاهر في سيرته والنقي في تفكيره، نُصبَ أعينكم، حيث قال في ذلك المجلس الخاوي آنذاك: «الآن أذ لا بدّ أن نُباد فلماذا نُباد بأيدينا». وأنا اليوم أيضًا أجدّد ذكرى ذلك الشهيد (الذي ضحّى) على طريق الله، وأقول لكم يا إخوتي في الإيمان: لو أننا فُنينا عن ظهر البسيطة باليد الآثمة الأمريكية والسوفيتية، ولاقينا ربنا بدم قان لقاء مشرّفًا، لكان ذلك أفضل من أن تكون لنا حياة مترفة مرفّهة تحت راية الجيش الأحمر الشرقي والأسود الغربي. وهذه كانت سيرة الأنبياء العظام وأئمة المسلمين وأعلام الدين المبين، ويجب أن نقتدي بها.

يجب أن يسودنا الاعتقاد أن أمة من الأمم تستطيع أن تعيش متحررة من التبعيات إن أرادت ذلك. القوى المتجبرة العالمية لا تستطيع أن تفرض على شعب شيئًا يخالف معتقداته، خذوا العبرة من أفغانستان حيث لم يستطع الاتحاد السوفيتي ـ مع وقوف الحكومة الغاصبة والأحزاب اليسارية إلى جانبه ـ أن يقمع حتى الآن جماهير الشعب» (الوصية، ص ٥٠ – ٥١).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العزة والإعلام

للإعلام دور كبير في بناء شخصية أفراد الأمة، وخاصة في عصرنا حيث التطور التقني الهائل في وسائل الإعلام والاتصال. التلقين المستمر الذي توحيه للأفراد يمكن أن يصنع الشخصية المتحلّية بالعزّة والكرامة، ويمكن أن يذيب هذه الشخصية ويحلّلها، ويخلق روح الهزيمة والذلّ في أعماقها.

معظم وسائل الإعلام في عالمنا الإسلامي لا تتخذ اتجاهًا رساليًا هادفًا، بل تتجه نحو تعميق روح الضعف والتبعية والهزيمة في المستمع والمشاهد والقارئ.

الإمام في وصيته يعرض لما كانت عليه وسائل الإعلام في عهد الشاه، وما جرّته من ضياع الذات والشخصية، ويحذّر من انزلاق الإعلام في العهد الإسلامي إلى تلك الحالة باسم «الحرية»، يقول:

«الإذاعة والتلفزيون والصحافة والسينما والمسرح من الأدوات الفعالة في إفساد الشعوب وتخديرها خاصة جيل الشباب. ما أكثر المخططات التي نُفّذت عن طريق هذه الأدوات خلال هذا القرن الأخير خاصة النصف الثاني منه، سواء ما استهدف منها معاداة الإسلام أو معاداة علماء الدين المخلصين، أو ما اتجه للدعاية إلى المستعمرين الغربيين والشرقيين!!

من هذه الأدوات استفادوا لرواج الأسواق الاستهلاكية للبضائع وخاصة الكمالية وأدوات الزينة بكل أنواعها (دافعين الناس) إلى التقليد في الأبنية والديكور والمظاهر، والتقليد في نوع المشروبات والملابس على طريقتهم (الأوربية). حتى عاد التفاخر في تقليد الغرب سائدًا في جميع شؤون الحياة، في السلوك والكلام وشكل الملبس، خاصة بين النساء المرفهات ونصف المرفهات. و(هكذا التقليد) في آداب المعاشرة وطريقة الكلام واستعمال الألفاظ الغربية في الحديث والكتابة حتى عاد فهم كلام هؤلاء صعبًا على كثير من الناس بل على نظرائهم أيضًا.

الأفلام التلفزيونية كانت من منتجات الغرب أو الشرق، وكانت تُبعد الشباب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ذكوراً وإناثًا عن المسير الصحيح للحياة، وعن العلم والصناعة والانتاج وتدفعهم إلى الجهل بذاتهم وبشخصيتهم، أو إلى التشاؤم وسوء الظن بكل شيء أصيل لديهم ولدى بلدهم، بما في ذلك الثقافة والآداب والمآثر القيمة التي انتقل الكثير منها، بيد الخائنين، إلى المكتبات والمتاحف الغربية والشرقية.

المجلات، بمقالاتها وصورها الفاضحة والمؤسفة، والصحف بتسابقها في كتابة مقالات معادية للأصالة الثقافية والإسلامية، كانت تفخر بأن تدفع الجماهير وخاصة فئة الشباب نحو الغرب أو الشرق. أضف إلى ذلك الدعايات الواسعة في نشر مراكز الفساد والفحشاء، ومراكز القمار والميسر، وحانات الخمور، ومعارض البضائع الكمالية ووسائل التجميل واللعب والمشروبات الكحولية، وخاصة ما يستورد منها من الغرب. ومقابل تصدير النفط والغاز والثروات الأخرى كانت تستورد الدُّمى واللُّعب والتحف الكمالية ومئات الأشياء الأخرى، مما ليس لمثلي اطلاع عليها. ولو قُدّر ـ لا سمح الله ـ أن امتدّ عمر النظام البهلوي المأجور المخرّب لأوشك شبابنا الأكفّاء من أبناء الإسلام والوطن وممن تُعقد الأمة عليهم الآمال، بما يحيطهم من دسائس وخطط شيطانية يدبرها النظام الفاسد، ووسائل الاعلام، والمثقفون المتغربون، والمتشرّقون، أن يعرضوا تمامًا عن الأمة والإسلام، فيتلفوا شبابهم في مراكز الفساد، أو ينخرطوا في خدمة القوى الطامعة، ويبيدوا بذلك البلاد.

والآن وصيتي إلى مجلس الشورى الإسلامي في الحال والمستقبل ورئيس الجمهورية ورؤساء الجمهورية التالين وإلى مجلس مراقبة الدستور ومجلس القضاء الأعلى والحكومة في كل زمان هي أن لا يَدَعوا هذه الأجهزة الإعلامية والصحافة والمجلات تنحرف عن مصالح البلاد. وعلينا أن نعلم جميعًا أن الحرية بشكلها الغربي المؤدي إلى إفساد الشباب بذكورهم وإناثهم، هي مدانة من وجهة نظر الإسلام والعقل. وكل دعاية ومقال وخطبة وكتاب ومجلة تتعارض مع الإسلام والعفة العامة ومصالح البلاد، حرام، ويتوجب علينا جميعًا وعلى كل المسلمين أن يحولوا دونها، وأن يحولوا دون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحريات الهدامة. ولو لم يُتّخذ موقفٌ حاسم تجاه ما هو حرام شرعًا، وما يتعارض مع مسير الشعب والبلد الإسلامي وكرامة الجمهورية الإسلامي فكلنا مسؤولون. والجماهير وشباب حزب الله، إن واجهوا أحد الأمور المذكورة، عليهم أن يراجعوا الأجهزة المعنيّة، فإن قصّرت فهم أنفسهم مكلفون بصدّ (هذا الانحراف). كان الله في عون الجميع» (الوصية، ص ٤٥ – ٤٦).

ويوصي الإمام وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي بأن تحمل كلمة الإسلام إلى العالم وتصدّ الدعايات المضللة،بل يحمّل وزارة الخارجية وكل أصحاب الكلمة والقلم هذه المسؤولية في إماطة اللثام عن حقائق الإسلام الناصعة، يقول:

«ووصيتي إلى وزارة الإرشاد في جميع العصور، وخاصة العصر الراهن، بما له من خصوصيات، هي السعي من أجل تبليغ الحق أمام الباطل، وعرض الوجه الحقيقي للجمهورية الإسلامية. ونحن في هذا العصر، إذ قطعنا يد القوى الكبرى عن بلادنا، نتعرض إلى هجوم إعلامي من جميع وسائل الإعلام المرتبطة بالقوى الكبرى. ما أكثر الأكاذيب والتهم التي نسبها وينسبها المرتبطون بالقوى الكبرى، وبالكلمة المسموعة والمقروءة، إلى الجمهورية الإسلامية الوليدة!!

أكثر حكومات المنطقة الإسلامية التي يجب أن تمدّ لنا يد الأخوّة بحكم الإسلام قد ناصبتنا وناصبت الإسلام العداء مع الأسف، وشنّت هجومًا علينا خدمة للطامعين الدوليين. وقدرتنا الإعلامية ضعيفة جدًا وهزيلة.

تعلمون أن العالم اليوم يدور حول محور الإعلام. ومن المؤسف أن من يسمّون بالكتّاب المثقفين الذين تتجه ميولهم إلى أحد القطبين، بدل أن يفكروا في استقلال وحرية بلدهم وشعبهم، لا تسمح لهم الروح الاستعلائية والانتهازية والاحتكارية لأن يفكروا لحظة، وأن يأخذوا بنظر الاعتبار مصالح بلدهم وشعبهم، وأن يقارنوا بين الحرية والاستقلال في هذه الجمهورية وبين (ما كان عليه الوضع في) النظام الظالم السابق، و(أن يقيسوا) الحياة المشرفة القيّمة المقرونة بفقدان بعض وسائل الرفاه وبَطَر العيش (في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ظل الجمهورية الإسلامية) بما كان عليه نظام الظلم الشاهي الذي كان يعطي (تلك الوسائل) مقرونة بالتبعية والرقّية وبكيل المدح والثناء لجراثيم الفساد ومنابع الظلم والفحشاء، وأن يكفّوا عن إلصاق التهم والأكاذيب بهذه الجمهورية الإسلامية الوليدة، وأن يقفوا بأقلامهم وألسنتهم مع الشعب والحكومة صفًا واحدًا ضد الطاغوتيين والظلمة.

ومسألة التبليغ لا تنهض بها وزارة الإرشاد وحدها، بل هي مسؤولية كل العلماء والخطباء والكتاب والفنانين. يجب أن تسعى وزارة الخارجية لأن توفر نشرات تبليغ في السفارات تبيّن الوجه النيّر للإسلام، إذ لو سطع هذا الوجه بجماله الباهر الذي رسمه القرآن والسنّة في كل الأبعاد من تحت النقاب الذي ضُرب عليه من قِبَل محاولات الأعداء وبلادة الأصدقاء، فإن الإسلام سيشع نوره على العالمين. وستهتزّ رايته العزيزة خفاقة في كل مكان. أية مصيبة أعظم وأمرّ من أن يملك المسلمون متاعًا لا نظير له من بدء العالم حتى منتهاه ثم هم لا يستطيعون أن يعرضوا هذه الجوهرة الثمينة التي ينشدها كل إنسان بفطرته السليمة، بل إنهم هم أيضًا عنها غافلون وبها جاهلون وعنها أحيانًا مُعرضون!!» (الوصية، ص ٣٩ – ٤٠).

العزّة والقضاء

الجهاز القضائي سند كل ذي حقٍّ ليأخذ حقّه، وإذا أحسّ الإنسان بأن حقوقه محفوظة وأن روحه وماله وعرضه في مأمن من تطاول يد المعتدين، شعر بالعزّة والكرامة والاستقرار، فالجهاز القضائي يصون عزّة الناس وكرامتهم. والكارثة أن يتولى منصب القضاء مَنْ يتلاعب بمقدرات الناس، عندئذ يشعر الناس أنهم يجب أن ينحنوا أمام الأقوياء، ويستسلموا لابتزازهم، ويتملّقوا لهم، كي يأمنوا شرّهم، إذ لا مدافع لهم في المجتمع. وهكذا يسود الذلّ.

الإمام الراحل في وصيته يركز على التزام القاضي.. وتجربته القضائية.. وعلمه في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

«الأمور الشرعية والإسلامية والسياسية». أي أنه يجب أن يكون ذا علم بالشريعة، وذا بصيرة في المشروع الإسلامي برمّته، كي يفهم مقاصد الشريعة، ولا يعتمد في قضائه على نظرة تجزيئية للدين، كما ينبغي أن يكون على علم بالسياسة، لأنه سيواجه قضايا ترتبط بالأمن الداخلي وبالتدخل الخارجي وبالمسائل الاجتماعية العامة، لذلك فالوعي السياسي يشكل محوراً من محاور علم القاضي. يقول الإمام:

«من مهمات الأمور، مسألة القضاء التي ترتبط بأرواح الناس وأموالهم وأعراضهم. ووصيتي إلى القائد ومجلس القيادة أن يبذلوا الجهد فيما عليهم من مسؤولية تتمثل بتعيين أعلى مسؤول قضائي بأن يكون من الأشخاص الملتزمين وأصحاب التجربة والنظر في الأمور الشرعية والإسلامية والسياسية. وأطلب من أعضاء مجلس القضاء الأعلى أن يجدّوا في إصلاح أمر القضاء الذي تدنّى في عهد النظام البائد إلى وضع مؤسف مؤلم. وأن يبعدوا عن كرسي القضاء الهام مَنْ يتلاعب بأرواح الناس وأموالهم، ومن لا يعير أهمية للعدالة الإسلامية، وأن يحدثوا التغييرات في (وزارة) العدل بهمة وجدٍّ وتدريج، وأن يتم بجد إن شاء الله تدريب وتعليم قضاة تتوفر فيهم الشروط اللازمة في الحوزات العلمية، وخاصة حوزة «قُم» العلمية المباركة، وتقديمهم ليتعينوا بدلاً من القضاة الذين لا تتوفر فيهم الشروط المقررة الإسلامية. وسوف يسود القضاء الإسلامي إن شاء الله عاجلاً في جميع أرجاء البلاد.

وأوصي القضاة المحترمين في العصر الراهن وفي العصور القادمة أنه مع الأخذ بنظر الاعتبار ما ورد من أحاديث عن المعصومين صلوات الله عليهم بشأن القضاء وما يتضمّنه من خطر عظيم، وما ورد بشأن القضاء بغير الحق، عليهم أن يتصدوا لهذا الأمر الخطير، وأن لا يدعوا المنصب يقع بيد غير أهله، وأن لا يرفض هذا الأمر من هو أهل له، وأن لا يفسحوا المجال لمن هو غير أهل له. وكما أن خطر هذا المنصب كبير، فإن الأجر والفضل والثواب فيه كبير أيضًا. وتعلمون أن تصدي القضاء لأهله واجب كفائي» (الوصية، ص ٣٥ – ٣٦).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العزّة والدراسات الدينية

خصص الإمام الراحل جزءاً من وصيته للحوزات العلمية (مراكز الدراسات الإسلامية الحرّة) وتحدّث مع علماء الدين وعن علماء الدين في مواضع عديدة، والذي يجمع بين هذا الجزء من الوصية والأجزاء الأخرى هو الدفع نحو خلق مجتمع إسلامي أصيل معاصر، يشعر فيه المسلم بالعزّة والكرامة.

الدراسات الدينية في عالمنا المعاصر تخلفت عن الزمن أولاً، ثم دخل فيها عناصر مشبوهة أو متاجرة شوّهت وجه علماء الدين، ثم إنها ابتعدت عن الجانب التربوي العملي لتنهمك في الدراسات النظرية البحتة، أو فيما يتعلق بظاهر ما يحتاجه الإنسان، دون أن تتوغل في عمق النفس الإنسانية وفي سبل تهذيب هذه النفس وتغييرها، باعتبار أن هذا التغيير مقدمة لازمة لتغيير المجتمع.

مجمل خصائص الدراسات الإسلامية الحالية في معظم أرجاء العالم الإسلامي لا تجعل الطالب فيها يشعر بالعزّة والمكانة، لا وتجعل النظرة الشعبية إليها نظرة اعتزاز وإكبار وإجلال، لذلك يشير الإمام الراحل في وصيته إلى ضرورة النهوض بالحوزات العلمية إلى المستوى اللائق المرموق.

تخليصها من العناصر المندسّة والمتاجرة.. تأصيل الدراسات الإسلامية فيها وإبعادها عن الالتقاط.. وارتفاع الموضوعات المطروحة إلى مستوى حاجة العصر.. والاهتمام بالدراسات التي تتجه نحو تغير المحتوى الداخلي للأفراد وتهذيبهم وتوجيههم إلى الله سبحانه. يقول الإمام:

«وصيتي إلى الحوزات العلمية المقدسة هي أني ذكرت مراراً أن أعداء الإسلام والجمهورية الإسلامية شمروا عن ساعد الجد في هذا العصر للإطاحة بالإسلام، ويسعون بكل طريق ممكن لتحقيق هذا الهدف الشيطاني. وأحد الطرق الهامة لمقصدهم المشؤوم والخَطِر على الإسلام والحوزات الإسلامية، إرسال أفراد منحرفين فاسدين ليخترقوا الحوزات العلمية، وفي ذلك خطر كبير قصير المدى يتمثل في الإساءة إلى سمعة الحوزات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بارتكاب الأعمال المشينة وبالانحراف في السلوك والأخلاق، وخطره الكبير في المدى البعيد عندما يصل واحد أو أكثر من الأفراد المحتالين إلى مراتب عالية. فهؤلاء باطلاعهم على العلوم الإسلامية وتغلغلهم بين الجماهير والفئات الطيبة القلب وجذبهم إليهم، ينزلون الضربة المهلكة بالحوزات الإسلامية والإسلام العزيز والوطن في الوقت المناسب.

ونحن نعلم أن القوى الكبرى الناهبة، لها في الأوساط أفراد بأشكال مختلفة من الوطنيين والمثقفين الزائفين والمتلبسين بلباس علماء الدين، وهذه (الفئة الأخيرة) إن وجدت المجال فخطرها أكبر وضررها أفظع. وهؤلاء أحيانًا يقضون ثلاثين أو أربعين عامًا بصبر وتحمل بين الشعوب، وبمظهر إسلامي متزمّت أو بادّعاء القومية الإيرانية أو الوطنية أو بحيل أخرى، ثم يؤدون مهمتهم في الوقت المناسب.

شعبنا العزيز خلال هذه الفترة القصيرة بعد انتصار الثورة رأى نماذج من مثل مجاهدي الشعب وفدائيي الشعب وحزب تودة وعناوين أخرى. ومن اللازم على الجميع أن يحبطوا هذا اللون من المؤامرة بوعي. والأهم من كل ذلك الحوزات العلمية التي يتحمل مسؤولية تنظيمها وتصفيتها المدرسون المحترمون والأفاضل المجربون بتأييد من مراجع العصر. ولعل أطروحة (النظام في عدم الانتظام) هي من الإلقاءات المشؤومة لهؤلاء المخططين والمتآمرين.

على أي حال، وصيّتي هي أن النهوض من أجل تنظيم الحوزات أمر لازم وضروري دائمًا، وخاصة في عصرنا الراهن حيث المخططات تدبّر بسرعة وقوّة. وعلى العلماء والمدرسين والفضلاء العظام أن يبذلوا الوقت ويضعوا البرنامج الدقيق الصحيح ليحفظوا الحوزات وخاصة العلمية في (مدينة) قم، وسائر الحوزات المهمة الكبرى، من الآفات. وفي الدروس المرتبطة (بالفقاهة) وفي مجال الدراسات الفقهية والأصولية، من اللازم أن لا يسمح العلماء والمدرسون المحترمون بحدوث خروج عن طريقة المشايخ العظام، فالطريق الوحيد لحفظ الفقه الإسلامي هو الفقاهة، وأن يسعوا إلى أن تتعمق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يومًا بعد يوم (روح) الدقة والبحث والنظر والابتكار والتحقيق. وأن يُحفظ الفقه التقليدي الذي هو تراث السلف الصالح، والخروج عنه (يؤدي إلى) ارتخاء أركان التحقيق والتدقيق. وأن تضاف البحوث إلى البحوث. وفي فروع العلوم الأخرى ينبغي طبعًا وضع برامج تتناسب مع احتياجات البلاد والإسلام، وتُربى على أساسها الأجيال. وأعلى وأسمى المجالات العلمية التي ينبغي أن يشارك الجميع في تعليمها وتعلمها هي العلوم المعنوية الإسلامية مثل علم الأخلاق وتهذيب النفس والسير والسلوك إلى الله، رزقنا الله وإياكم (ذلك) فهو الجهاد الأكبر» (الوصية، ص ٣٦ – ٣).

العزة والجهاز التنفيذي

الجهاز التنفيذي له السهم الأوفى في صيانة عزّة الأفراد وكرامتهم. مهما سمت القوانين فإنها لا تستطيع حفظ حرمة الأفراد، إذا كان تنفيذها بيد أناس لا يقيمون حرمة للناس. الجهاز التنفيذي ـ إن فسد ـ يصبح قوة مخيفة مرعبة، يهاب الناس بطشها ويُذلّون أمامها.

الجهاز التنفيذي في معظم أرجاء عالمنا الإسلامي مصاب بمرض استهانة الكرامة واحتقار الناس والتعالي عليهم. لذلك يوصي الإمام المسؤولين باستشعار التواضع أمام الناس، وأن يحسبوا أنفسهم خدمًا للشعب.

ويوصي الوزراء عامة ووزارة الخارجية بشكل خاص بالابتعاد عن مظاهر الفخفخة والكبكبة والاستعلاء والطاغوت، يقول الإمام:

«من الأمور التي تستلزم الإصلاح والتصفية والمراقبة: القوة التنفيذية. فمن الممكن أن يصادق المجلس على قوانين راقية ومفيدة للجميع، وينفّذها مجلس مراقبة الدستور، ويبلّغها الوزير المسؤول، لكنها ما إن تقع بيد المنفذين غير الصالحين، حتى ويمسخونها ويعملون خلافًا للمقررات، بدفعها إلى اللعب الإداري أو إلى الطرق الملتوية التي اعتادوا عليها، أو بالتعمد في المخالفة لخلق الاستياء بين الناس، وبالتدريج وبالتساهل يحدثون أزمة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وصيتي إلى الوزراء والمسؤولين في العصر الراهن وفي العصور الأخرى هي أنه، إضافة إلى أن الميزانية التي ترتزقون منها أنتم وموظفو الوزرات هي أموال الشعب، ومن هنا يجب أن تكونوا في خدمة الشعب، وخاصة المستضعفين، وأن إرهاق الناس والعمل خلاف الواجب حرام قد يوجب أحيانًا، لا سمح الله، غضبًا إلهيًا، (إضافة إلى ذلك) فإنكم جميعًا بحاجة إلى مساندة الشعب. فبمساندة الشعب، وخاصة الطبقات المحرومة منه، تحقق النصر، وانقطعت يد الظلم الشاهي عن البلاد وذخائرها. وإن حُرمتُم يومًا من هذه المساندة تُقصوا عن مناصبكم، ويعود الظالمون إلى احتلال المناصب كما كان الأمر في النظام الشاهنشاهي. انطلاقًا من هذه الحقيقة الملموسة يجب أن تسعوا في كسب الجماهير وأن تتجنّبوا السلوك غير الإسلامي وغير الإنساني.

ومن هذا المنطلق أوصي وزراء الداخلية على مر التاريخ أن يراعوا الدقة في انتخاب المحافظين (حكام المحافظات) وأن يختاروهم من بين اللائقين، المتدينين، الملتزمين، وأهل العقل، والمتماشين مع الناس. كي يستتب الأمن في البلاد. ولو إنّ كلّ الوزراء يتحملون مهمة تعميق الإسلام وتنظيم الأمور في محل مسؤوليتهم، فإنّ بعض أولئك لهم (مهام) خاصة، مثل وزارة الخارجية التي تتحمل مسؤولية السفارات في خارج البلاد. لقد أوصيت وزراء الخارجية منذ بداية انتصار (الثورة) بشأن إزالة مظاهر الطاغوت من السفارات وتحويلها إلى سفارات تتناسب مع الجمهورية الإسلامية» (الوصية، ص ٣٧ – ٣٨).

العزة والسياسة الخارجية

السياسة الخارجية تحمل أكبر ثقل في صيانة عزّة الأمة على الصعيد العالمي. فهي، إن كانت بيد أفراد ضعفاء، تتأثر بالمعادلات الدولية المهيمنة، وتلين أمام الضغوط، وتنهزم إزاء الأقوياء.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإمام إذ يوصي بضرورة حفظ استقلال البلاد ومصالحها في السياسة الخارجية، يوصي أيضًا بالسعي لتحسين العلاقات مع البلدان الإسلامية صيانة لعزّة المسلمين، يقول الإمام:

«وصيتي إلى وزراء الخارجية في هذا العصر والعصور التالية هي أن مسؤوليتكم جسيمة سواء في حقل إصلاح وتغيير الوزارة والسفارات أم في حقل السياسة الخارجية، وذلك بحفظ استقلال البلاد ومصالحها، وإقامة علاقات حسنة مع البلدان التي لا تستهدف التدخل في أمور بلادنا. عليكم أن تتجنبوا بشكل قاطع كل أمر مشوب بالتبعية بجميع أبعادها. واعلموا أن التبعية في بعض الأمور، مهما كان لها ظاهر خادع أو منفعة آنية، هي في النتيجة ستتلف جذور البلد. واسعوا في تحسين العلاقات مع البلدان الإسلامية، وفي إيقاظ الحكام والدعوة إلى الوحدة والاتحاد، فالله معكم» (الوصية، ص ٣٨ – ٣٩).

العزّة والأخوّة الإسلامية

الاعتصام بحبل الله وعدم التفرّق مقدمة لازمة للقوة وصيانة العزّة. فالوحدة عزّ وقوّة والضعف ذلّ وهزال. من هنا فحديث الإمام الراحل في هذا الشأن مستمر منذ أوائل اندلاع الثورة حتى وفاته. وفي وصيته يؤكد على التصدي للمفرّقين ودعم الصفوف، يقول الإمام:

«ليس عبثًا أن تبذل الأبواق الإعلامية العالمية وربيبتُها المحلية كل طاقاتها في بث الإشاعات والأكاذيب المفرّقة، وتبذل في سبيل ذلك مليارات الدولارات.

ليس عبثًا هذه الجولات المستمرة التي يقوم بها معارضوا الجمهورية الإسلامية في المنطقة، وبينهم ـ مع الأسف ـ زعماء حكومات بعض البلدان الإسلامية الغارقين في مصالحهم الشخصية والمستسلمين طوعًا وانقيادًا لأمريكا، وهكذا بعض المتشبّهين بعلماء الدين يسيرون في هذا الركب أيضًا.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ما يتوجب على الشعب الإيراني وعلى جميع المسلمين في عصرنا هذا وفي المستقبل، وما ينبغي أن يهتموا به هو إحباط الدعايات المفرّقة الهدامة. وصيتي إلى المسلمين وخاصة الإيرانيين وبالأخص المعاصرين منهم أن يتخذوا موقفًا مجابهًا إزاء هذه المؤامرات، وأن يعمّقوا بالانسجام وحدتهم عن أي طريق ممكن، ويبعثوا اليأس في الكفار والمنافقين» (الوصية، ص ١٨).

ويوصي الإمام شعوب العالم الإسلامي وحكوماته بالاعتماد على نفسها في استعادة هويتها، وإلى التحرر من التبعية، وإلى الوحدة والتفاهم بين الحكومات والشعوب، وبين الشعوب نفسها، يقول:

«وصيتي إلى الشعوب والبلدان الإسلامية هي أن لا يعقدوا والأمل على مساعدة خارجية في الوصول إلى الهدف المتمثل في الإسلام وتطبيق الأَحكام الإسلامية. عليكم أن تنهضوا بأنفسكم بهذا الأمر الحياتي الذي يستتبعه تحقق الاستقلال والحرية.

وعلى العلماء الأعلام والخطباء المحترمين في البلدان أن يَدْعُوا الحكومات لتحرر نفسها من التبعية للقوى الكبرى، ولتتفاهم مع شعوبها، وفي هذه الحالة سيكسبون النصر المؤزّر. وعليهم أن يَدْعُوا الشعوب إلى الوحدة والى تجنب النعرات العنصرية المخالفة لتعاليم الإسلام، والى أن يمدّوا يد الأخوّة إلى إخوتهم في الإيمان بمختلف بلدانهم وقومياتهم، فالإسلام العظيم سمّاهم إخوة. وإن تحققت هذه الأخوة الإسلامية يومًا بهمة الحكومات والشعوب وبتأييد الله تعالى، فسترون أن المسلمين يشكلون أكبر قدرة عالمية. على أمل أن تتحقق يومًا بإذن رب العالمين هذه الأخوة والمساواة» (الوصية، ص٣٩).

العزّة والقوّة الاقتصادية

يرى الإمام أن القوة الاقتصادية للبلد الإسلامي تتحقق في ظل تفجير طاقات أبناء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البلد ضمن إطار الدولة الإسلامية. ويشير مرارًا إلى ما تحقق في إيران من قوة في مجال السير نحو الاكتفاء الذاتي في ظل الإسلام. ويؤكد مرارًا على ضرورة انتخاب أفراد جهاز النظام الحاكم من بين مَنْ يعيشون معاناة الناس، ويتحسسون مشاكلهم كي يعكفوا على حلّها.

غير أن الإمام في وصيته له وقفات عند بعض المسائل الاقتصادية مشيرًا إلى أهمية الجانب الاقتصادي في تحقيق عزّة المواطن والوطن، منوّهًا بأن المشكلة الاقتصادية لا تحلّها الدولة فحسب، بل لابد أيضًا من التكافل الاقتصادي بين أبناء المجتمع للتغلب على تركة العهد البائد، يقول الإمام:

«وصيتي إلى المجلس، ومجلس مراقبة الدستور، والحكومة، ورئيس الجمهورية، ومجلس القضاء هي: أن يكونوا خاضعين لأحكام الله تعالى، وأن لا يقعوا تحت تأثير الدعايات الفارغة للقطب الظالم الرأسمالي الناهب والقطب الملحد الاشتراكي والشيوعي، وأن يحترموا الملكية والثروة المشروعة في إطار الحدود الإسلامية، وازرعوا الثقة في نفوس المواطنين كي توظف الأموال في النشاطات البناءة، ولتساهم في دفع الحكومة والبلاد إلى الاكتفاء الذاتي وفي تطوير الصناعات الخفيفة والثقيلة. وأوصي الأثرياء وأصحاب الأموال المشروعة أن يوظفوا أموالهم المشروعة في النشاطات المثمرة وفي المزارع والأرياف والمصانع، فتلك عبادة عظيمة. وأوصي الجميع بالسعي من أجل رفاه الطبقات المحرومة. إذ خير دنياكم وأخراكم في الاهتمام بحال محرومي المجتمع الذين كانوا طوال تاريخ سيطرة النظام الشاهي وسيطرة الخوانين في مشقة وعذاب. وما أحسن تطوّع ذوي اليسار لبناء مساكن لسكنة الأكواخ والصرائف وتوفير سبل الرفاه لهم!! وليثقوا أن في ذلك خير الدنيا والآخرة. وليس من الإنصاف أن يفتقد فرد المأوى وأن يمتلك فرد آخر الأبنية السكنية» (الوصية، ص ٥٤ – ٥٥).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تلخيص واستنتاج

المحور العام المشترك في كل مقاطع وصية الإمام الراحل هو: دفع الأمة المسلمة نحو العزّة والكرامة.

رؤية الإمام ـ كما تستنبط من الوصية ـ أن عزّة الإنسان لا تتحقق بشكلها الحقيقي إلا في ظل النظام الإلهي. فالدولة التي تقوم على أساس الحركة نحو الله هي القاعدة الوحيدة للعزّة، ولا عزّة بدونها. فبفضل هذه الدولة تصان كرامة الإنسان من عدوان الطواغيت، وفي ظل هذه الدولة تتحقق مسيرة المجتمع البشري نحو كماله المنشود، وفي إطار هذه الدولة تتفجر الطاقات الخلاقة الخيّرة للإنسان، لذلك كانت من أعظم أهداف الرسالات السماوية.

وهذه الظاهرة الإلهية ـ كما يسميها الإمام ـ يجب أن تتوافر فيها كل الظروف التي تصون مسيرة العزّة من الانحراف على الصعيد السياسي، والعسكري، والتربوي، والإعلامي، والحكومي، والقيادي، والقضائي، والتنفيذي.

كل ما في هذه الدولة يجب أن يتجه إلى ما هو «معروف» وإلى رفض ماهو «منكر». لهذا عاش الإمام، وعلى هذا مات، وانتقل إلى ربه بفؤاد وادع، وقلب مطمئن، ونفس مبتهجة، لأنه أدّى ما عليه، وترك مسؤولية مواصلة الطريق لكل فرد من أبناء الأمة الإسلامية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com